أثر أبي زيد الأنصاري ومن تأثر بمذهبه من اللغويين في إثراء الدرس اللغوي

بقلم

الدكتور زايد بن مهلهل العتيق

رئيس قسم اللغة العربية

Zzaid83@hotmail.com

جامعة حائل كلية الآداب

أثر أبىزيد الأنصاري ومن تأثر بمذهبه من اللغويين في إثراء الدرس اللغوي

بقلم

الدكتور زايد بن مهلهل العتيق

رئيس قسم اللغة العربية

Zzaid83@hotmail.com

جامعة حائل كلية الآداب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ومن والاه

وبعد

فإن فكرة هذا البحث تنبع من كون لغة القرآن الكريم غنية بما تصرف العرب فيه من الألفاظ والاستعمالات والاشتقاقات المختلفة، حتى يسع استعمالها جميع شؤون الناطقين بها، وتكون أكثر مرونة وعطاء، وحتى تكون واسعة التعبير، كثيرة المفردات، متنوعة الدلالات، غنية في أصول الكلمات، وهذا ما يعبر عنه بتوسع العرب في لغاتها، والذي بدوره أثرى الدرس اللغوي، ووسع آفاقه أمام الدارسين والباحثين على السواء.

معنى التوسع اللغوى (أصحابه ونماذجه)

انطلاقاً من المقدمة السابقة – والموجزة جداً – عرفنا أن حقل الدرس اللغوي قد أُثري أيما ثراء بواسطة توسع العرب في كلامهـا، فما المقصود بمصطلح التوسع اللغوي؟

أجاب اللغويون عن ذلك بقولهم: إن للتوسع معنيين في اللغـة الاصطلاح:

أما في اللغة فإن الواو ، والسين ، والعين : كلمة تَـدُلُّ علـى خلاف الضِّيْق والعسر . يُقالُ : وَسَعَ الشيءُ واتَّسَعَ ... الخ[١] .

والتَّوَسُّعُ خِلاف التضيق ، تقول : وَسَّـعْتُ الشـيءَ فاتَّسَـعَ ، واسْتَوْسَعَ ، أي صار وَاسعاً [٢] .

والتَّوَسَّعُ: مصدر (تَوَسَّعَ)، والتَّوَسُّعُ (تَفَعُّل) نحو (التَكَسُّر)[٣].

والواسِعُ خلاف الضيِّق، كالوَسِيْعِ،وقد وَسِعَهُ ولم يَضِقْ عنه[٤]، ومنه قوله تعالى :﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[٥] أي اتَّسَعَ.

ووَسِعَ المكانُ القومَ ، أي اتِّسَعَ ، ووَسُـعَ المكـان ، بالضـم ، بمعنى اتَّسَعَ ، فهو وَاسِعٌ . ووَسَّعْتُهُ بالتَّثْقِيلِ خِلاف ضَيَّقْتُهُ [٦]. ومن

(١) مقاييس اللغة ١٠٩/٦ .
(٢) الصحاح (وسع) ٠
(٣) معجم الأوزان الصرفية، أمين يعقوب ص ٩٠ .
(٤) تاج العروس، والقاموس المحيط : (وسع)٠
(٥) سورة البقرة آية ١٥٤ .
(٦) المصباح (وسع) .

المجاز : إنه لَيَسَعُنِي ما يَسَعُكَ ، ولا يَسَعُنِي شيءٌ ويَضِيقُ عنك ... ووَسِعَ القومَ عطَاءُ فُلان [1] .

وأما في الاصطلاح، فوجدنا أن اشتقاقات المادة اللُّغوية (وسع) كُلُّها تدور حول التوسُّع الذي هو خلاف التَّضْييق ، وقد استعمل العلماءُ مصطلح (التَّوَسُّع اللُّغَوِي) للنمو اللُّغوي ، أو لكل ما فيه نمو للثروة اللفظية في العربية ؛ ولذا فإن كُلِّ رافدٍ يُثْرِي هذه اللُّغة ، هو من طرق (التَّوسُّع اللُّغوي) وهم يقصدون الانطلاق باللُّغة من الضيق إلى السَّعة ؛ كي تعالج مقتضيات كُلَّ عصر من العصور اللاحقة .

وبهذا يمُكننا أنْ نخْلُصَ إلى أنَّ التَّوسُّعَ بالنسبة للُّغة ، معناه : جَعْل اللُّغة غنية بما تصرَّف العربُ فيه من الألفاظ والاستعمالات والاشتقاقات المختلفة ، حتى يَسَعَ استعمالها جميع شئون الناطقين بها ، وتكون أكثر مرونة وعطاء ، وحتى تكون ــ أيضاً ــ واسعة التعبير ، كثيرة المفردات ، متنوعة الدِّلالات ، غنية في أصول الكلمات .

فالتَّوسُّع اللُّغوي في الاصطلاح يقصد به أن كل ما رُوِي عن العرب في عصور الفصاحة ، إنما هو من لُغة العرب ، فكل من يتكلم بلغة أو يقيس عليها ولو كانت نادرة أو رديئة ، فهو مصيبٌ ، ولا يخُطَّأ ما دام استعماله له وجه في العربية يجيزه ، "فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيبٌ غير مخطيء"[2] .

وحُكي أن الفراء روى عن الكسائي قوله : " على ما سمِعْتُ من كلامِ العربِ ليس أحدٌ يلحن إلا القليل . وقال الأخفش عبد الحميد بن

(١) أساس البلاغة (وسع) .
(٢) الخصائص ١٢/٢ .

عبد المجيد : أنَحْى الناسُ من لم يُلَحِّنْ أحداً . وقال الخليل : لُغة العرب أكثر من أنْ يُلَحّنَ فيها متكلمٌ "[1] .

وجاء في المزهر : " كان الأصمعيُّ يَقُولُ أفصح اللُّغات ، ويُلْغِي ما سواها ، وأبو زيد يجعلُ الشَّاذَ والفصيح واحداً ، فيجيز كل شيء قِيْل"[2].وهذا ابن الأعرابي نراه يُلْقي باللائمة على الأصمعي في تشدده ، مصرِّحاً بأنه سمع من ألْف أعرابي خلاف ما قاله الأصمعي[3] .

ويأخذُ ابن السِّيد البطليوس على ابن قتيبة ، تخطئته قول العامة (ماءٌ مالحٌ) : وينص على أنَّ هذا الذي قاله ابن قتيبة قد قال مثله يعقوب، وأبوبكر بن دريد، وغيرهما، ورواه الرواة عن الأصمعي، وهو المشهور من كلام العرب، وينبه إلى أنَّ قول العَامَّة لا يُعد خَطأً، وإنما يجبُ أنْ يُقال : إنها لُغة قليلة[4].

ورَدَّ الحَرِيريُّ كلمات ذكر الخَفَاجيُّ أنها خلافُ الأفصح فقط، ثم قال الخفاجيُّ مُعلِّقاً: "ما أنْكَرَهُ مسموع على رداءته، وكفى به سنداً لمن استعمله "[5].

وهذا ــ أيضاً ــ أبوبكر الزبيدي يخُطيء قولُ العَامَّةِ: (سَكْرَانه) فيردُّ عليه ابن هشام اللَّخمي قائلاً : " فإذا قالها قومٌ من بني أسد فكيف تُلَحَّنُ بها العامَّة، وإن كانت لُغة ضعيفة ، وهم قد نطقوا بها

(١) المدخل إلى تقويم اللسان ٢٨ .
(٢) المزهر ٢٣٣/١ ، وانظر : ص ٣٩ من هذا البحث .
(٣) العربية (يوهان فك٩٨، وانظر لحن العامة لرمضان عبدالتواب ٦٦ ، وانظر ص٣٩ من هذا البحث ٠
(٤) الاقتضاب ٢٢٣/٢ ، وانظر ص ٥١٧ من هذا البحث .
(٥) شرح درة الغواص للخفاجي ٥١٤ .

كما نطقتْ بعضُ قبائلَ العرب"[١]، فابن هشام يرى:"أن ما اختلف فيه أهل اللُّغة ، لا تُغَلَّطُ فيه العامَّةُ "[٢].

وذاك إمام الرواة أبو عمرو بن العلاء ــ كما مرَّ بنا[٣] ــ عندما سأله أحدهم قائلاً : أخبرني عما وضعت وسميته عربية ، أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال أبو عمرو : لا فقال السائل : كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ قال : أعمل على الأكثر ، وأسمي ما خالفني لُغات[٤] .

ونخْلُصُ مما سبق إلى أنَّ كُلَّ ما تَكَلَّمَتْ به العرب الفصحاء، وما قيس على كلامها فهو صواب ؛ فالناطق على قياس لُغة من لُغات العرب مصيب غير مخطيء ، وإنْ كان غير ما جاء به خيراً منه ، كما قرر ذلك ابن جني[٥] .

فالتَّوسُّعُ اللُّغوي ، كان ثمرة لاختلاف تلك اللُّغات ، فالعربُ ــ كما هو معروف ــ قبائلُ ، وتنحدر من كل قبيلة بطون متعددة ، وتنتمي إليها أفخاذ ، فعشائر ، ثم فصائل ، ولا بد أن يكون ناموس الاختلاف قد عمَّ هذه الأقسام كُلِّها ، فإن لم يكن في أصل اللغة ، ففي امتداداتها من فروع ولهجات .

ومن نتائج وآثار حركة هذا التوسع ما حوته مصنفات المتوسعين من خصائص عامَّة توسعية أفرزت من خلالها مظاهر وآثار تلك الحركة التوسعية في الدرس اللغوي . وقد رأيت تصنيف آثار هذه الحركة وأثَرُها في الدرس اللغوي إلى أمرين رئيسين :

---

(١) المدخل إلى تقويم اللسان ٣٥ .
(٢) نفس المرجع ٥٩ .
(٣) انظر : ص : ٤١ من هذا البحث .
(٤) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي : ٣٤ .
(٥) الخصائص ١٢/٢ .

أولاً ــ جهود أئمة اللغة المتوسعين من أصحاب التصويب اللغوي ، من أمثال : أبي زيد الأنصاري،ومن تأثر بمذهبه التوسعي كأبي عبيد القاسم بن سلام ، وأبي عثمان السرقُسطي ، وابن السيد البطليوسي ، وأبي الفتح البعلي ، وشهاب الدين الخفاجي ، بالإضافة لبعض شرَّاح الفصيح أصحاب المذهب التوسعي أمثال : الزمخشري ، وابن هشام اللخمي في كتابه (المدخل إلى تقويم اللسان) ، وأبي جعفر اللبلي .

ثانياً ــ ومن هذه الجهود أيضاً ما أفرزته بعض المعاجم اللغوية، والتي تأثرت وأثَّرت في حركة التوسع اللغوي ، فكوَّنت حقلاً خصيباً في مجال تنمية الدرس اللغوي وازدهاره .

ومن أصحاب حركة التوسع في المعاجم اللغوية ، نذكر :

ــ ابن سيده في معجمه (المُحكم) .
ــ الصَّاغاني في (التكملة والذيل والصلة) .
ــ مرتضى الزَّبِيدي في (تاج العروس) .

ولكي يتضح المقصود وتتجلى حقيقة ما سبق فإنني سأختار مجموعة من هؤلاء الأئمة المتوسعين ، والذين كان لهم الفضل في إثراء حركة التوسع ، الذي انعكس بدوره على إثراء الدرس اللغوي بشكل عام ، مقدماً الأول فالأول ، مقتصراً على إيراد نماذج يسيرة لبعض الأمثلة ، والتي يتضح من خلالها المقصود ، وقد قصدت الإيجاز لا الحصر .

فأقول : لقد أثْرتْ هذه الحركة التوسعية الدرس اللغوي ثراءً جماً وتمثل ذلك بتلك الجهود اللغوية الخيرة ، والتي نهض بها جماعة من أئمة اللغة المتوسعين ، الذين تعقبوا أولئك الأئمة المتشددين ، الذين وقفوا عند حدود اللغة الفصيحة العالية وأنكروا ما

سواها ، أو منعوها ، أو لحّنوا مستعمليها ، أو صرَّح بعضهم بعدم معرفتها (أي اللغة الثانية) وهم في مذهبهم هذا ــ أعني المتشددين ــ لم يقصدوا التعسف أو التحامل ، أو تحجير الواسع على غيرهم ، وإنما كان لديهم غيرة شديدة على صفاء العربية ونقائها مما قد يشوبها ، فكانوا حصناً حصيناً للغة المثالية الفصحى ، لذا نراهم قد منعوا استعمال كلمات فصيحة لعدم اطلاعهم على مصادرها من كلام العرب المشهود لهم بالفصاحة والبيان ، وقد يُعذر لبعضهم تشدُدِه في هذا الأمر كونه صاحب رواية وسماع ، إذ لم يكن بصاحب قياس ولا نظر كما هو الحال بالنسبة للأصمعي ، لذا هبَّ المتوسعون للاستفادة من تلك الثروة اللغوية المتدفقة ، والتي هي في نظرهم أفق واسع حجَّرها وضيَّقها غيرُهم ، فتمثلت تلك الجهود بتصويبهم لكثير من اللغات التي منعها الفريق المتشدد ، وتخريجها على وجه صحيح في كلام العرب الفصحاء ، لأنهم يرون أن كل ما تكلمت به العربُ أو قيس على كلمها فهو صواب ، لا يخطأ من استعمله ما دام له وجهه في العربية يجيزه ، كما صوبوا كثيراً من لغات العامة والتي خطأها الفريق الأول ؛ لأنها في نظرهم لغة من لغات العرب الفصحاء أيضا ، لا يمكن تجاهلها بل إنهم كانوا أكثر توسعاً في هذا الشأن ، عندما نسبوا عدداً من تلك اللغات والتي تُلحَقُ بالعامة إلى قبائل عربية فصيحة وهم بهذا العمل يُقَرِّرون فصاحتها .

وهؤلاء المتوسعون اجتهدوا لجعل اللغة غنية بما تصرَّف العربُ فيه من الألفاظ والاستعمالات ، والاشتقاقات المختلفة.

ومن هؤلاء نذكر :

أولاً / أبو زيد الأنصاري[١]

يأتي في مقدمة أولئك الأئمة الذين كانوا يتوسعون في اللغات ، حتى ربما جاء بالشيء الضعيف ، فَيُجري ذلك مجرى القوي[٢].

وهو في نظر أحد الدارسين الغربيين ، كان ينطق كما ينطق الأعرابي ، وقد أدَّى التزامه الفصحى مع العوام في وقت مبكر إلى نكات من المزاح مشتملة على موازنات بين صوابه المُنخّل المصفى ، وطريقة التعبير الفاحشة المعوجة عند معاصريه[٣].

وقد روى ابن خالويه في شرح الفصيح عن أبي حاتم أن الأصمعي كان يقول أفصح اللغات ، ويلغي ما سواها ، وأبو زيد يجعل الشاذ والفصيح واحداً فيجيز كل شيء قيل[٤] . والذي يعنينا هنا تعقبه للأصمعي ، وإثبات فصاحة كثير من اللغات التي رفضها ، أو منعها ، أو لم يسمع بها الأول ، فأبان أبو زيد أنها لغات للعرب صحيحة فصيحة ، وقد تمثل هذا التعقب في الآتي :

---

(١) هو سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن قيس بن زيد بن النعمان بن مالك بن كعب بن الخزرج، أبوزيد الأنصاري، الإمام المشهور، ولد سنة ١١٩هـ كان إماماً في النحو ، صاحب تصانيف أدبية ولغوية ، غلبت عليه اللغة والنوادر والغريب ، قيل عنه أنه كان يحفظ ثلثي اللغة ، له تصانيف كثيرة في اللغة وكان يونس يقول : حدثني الثقة عن العرب ، يعني أبا زيد ، توفي سنة ٢١٥هـ .
وانظر ترجمته في الأعلام ١٤٤/٣، وانباه الرواة ٣٠/٢-٣٥، وإشارة التعيين ١٢٨ ، وبغية الوعاة ٥٨٢/١-٥٨٣ ، والبلغة ٨٤ ، والفهرست ٥٤ ، ومعجم الأدباء ٢١٢/١١ -٢١٧ .

(٢) انظر : فعلت وأفعلت لأبي حاتم ٨٢ .

(٣) انظر : العربية (يوهان فك) ٩٣ .

(٤) انظر المزهر ٢٣٣/١ .

ــ إثبات فصاحة ما أنكر الأصمعي ، وهو بهذا يضيف إلى اللغة الفصيحة المقدمة لغة فصيحة أخرى رويت عن العرب ، ويتضح ذلك من خلال الأمثلة التالية :

ــ أنكر الأصمعي قولهم : نَهَجَ الثَّوبُ وخَلُق ، إذا بلـــي ، إذ إن الصواب عنده أن يقال : أنهج ، وأخلق ، بالألف ، ليس غير . ويثبت أبو زيد اللغتين جميعاً ، ووافقه فيما ذهب إليه يونس وأبو عبيدة(١).

ــ أبى الأصمعي قولهم : سَمَلَ الثّوبُ ، والصواب عنده : أسمل بالألف . فصرَّح أبو زيد بأنه يقال باللغتين جميعاً (٢).

ــ أنكر الأصمعي قولهم : أفْتَتَنْتُ الرَّجُلَ.والصواب عنده: فَتَنْتُـــهُ بغير ألف. ويُصرِّح أبوزيد باللغتين جميعاً وينسب الأولى إلى تميم(٣).

ــ أبى الأصمعي قولهم: أنْسَلَ الوبر، ويرى أن الصواب : نَسَلَ فهو يَنْسُلُ، ليس غير. بينما ينصُّ أبوزيـــد علـــى فصـــاحة اللغتـــين جميعاً(٤).

ــ منع الأصمعي قولهم : جبرت فلاناً على الأمر ، إذ إنه يـــرى أنه لا يقال إلا أجبرته بالألف ، فيُصرِّح أبو زيـــد بفصـــاحة اللغتـــين جميعاً (٥).

ــ أنكر الأصمعي قولهم : أضَجَّ القوم ، بـــالألف ، والصـــواب عنده أن يقال : ضجَّ ، بغير ألف . قال أبو زيـــد : " يقـــال ضـــجُّوا وأضجوا ولغطوا وألغطوا ، وجَلبُوا وأجَلبوا ، باللغتين جميعاً (٦).

---

(١) انظر : فعلت وأفعلت لأبي حاتم ٨٣ .
(٢) نفسه : ٨٤ .
(٣) نفسه :٩٠ .
(٤) نفسه : ٩٥ ، ٩٦ .
(٥) نفسه : ١١٥ .
(٦) نفسه : ١٢٦ .

ـ يرى الأصمعي أن الصواب أن يقال : أحَـدَّت المـرأةُ علـى زوجها وأنكر : حدَّت المرأة بغير ألف . بينمـا يُصـرِّح أبـو زيـد بفصاحة اللغتين جميعاً[1] .

وما هذه إلا نماذج مختصرة وإلا فالكتاب قد تضمن في ثنايـاه الكثير من مثل هذه الأمثلة ، والتي يثبت فيها أبو زيد فصـاحة مـا أنكره الأصمعي من لغات .

وبعد هذه الأمثلة المختارة ، والتي تجلى فيها مذهب أبي زيـد التوسعي في إيجازته وتفصيحه لما منعه المتشددون في تنقية اللغـة فإننا نلحظ ذلك الأثر الذي خلَّده أبو زيد فيمن جاء بعده من اللغويين الذين تأثروا بمذهبه التوسعي ، فنقلوا عنه تصـويباته وتفصـيحه ، وإجازته لكثير من اللغات التي منعها المتشددون ، فكان لهذا التـأثير أثر واضح وجليٌّ انعكس على جماعة من أئمة اللغة ، نذكر منهم :

١ ـ أبوعبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) [2] والـذي ضـمن كتابه (الغريب المصنف) ما يقارب من خمسمائة موضع نقـل فيهـا توسع أبي زيد في اللغات المروية عن العرب نورد منها على سـبيل الإيجاز ما يلي :

أولاً / التوسع في الأفعال وهو على ثلاثة أضرب :

١ـ ذكره لغتين في الماضي ، وقد جاء ذلك وافـرٌ فـي ثنايـا الكتاب نقتصر فيه على ما يلي :

---

(١) انظر الصـفحات: ٨٥، ٩٤، ١٢٧، ١٣١، ١٣٦، ١٤٩، ١٥٠، ١٦٧ ، ١٦٩ .

(٢) انظر ترجمته في بغية الوعاة ٢/٢٥٣-٢٥٤ ، وإشارة التعيـين ٢٦١ ، والفهرست ٧١،٧٢ ومعجم الأدباء١٦/٢٥٤-٢٦١ .

ــ حكى أبو عبيد عن أبي زيد : حَلَلْتُ من الإحرام وأحْلَلتُ [١].

ــ كما حكى المصنف عن أبي زيد أيضاً : زَحَفْتُ في الشـــيء، وأَزْحَفْتُ : إذا أعْيَيْتُ[٢].

ــ وحكى عنه أيضاً قوله: "وقد عَقُرَتْ تَعْقُرُ، وعَقِرَتْ تَعْقَرُ"[٣].

٢) ذكره لغتين في المستقبل ، وقد تضمن الكتاب الكثير من هذا النوع[٤]، نشير فيه إلى ثلاثة أمثلة يتجلى فيها المقصود :

ــ حكى المصنف عن أبي زيد : خَفَقَ الفُؤادُ يَخْفِقُ ويَخْفُقُ [٥].
ــ أيضاً نقل عنه : جَنَحَ الرَّجُلُ يَجْنَحُ ويَجْنُحُ [٦].

ــ كما حكى عنه قوله أيضاً : " أَهَلَ الرَّجُلُ يَأْهِلُ ، ويَأْهُـــلُ : إذا تزوج [٧].

٣) ذكره ثلاث لغات في الماضي : وهذا النوع من التوسع جاء أيضاً مبثوثا في ثنايا الكتاب ، نلمح فيه إلى مثالين ، ومن خلالهمـــا يتضح المراد :

ــ حكى أبوعبيد عن أبي زيد : شَحَبَ لونهُ ، يَشْحَبُ ويَشْـــحِبُ ويَشْحُبُ [٨].

---

(١) الغريب المصنف : ٥٧٢/١ .
(٢) الغريب المصنف : ٥٧٣/١ .
(٣) نفسه : ٦٨٦/١ .
(٤) انظر الصـــفحات : ٦٠١/١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٨ ، ٧١٢/٢ ، ٧٧٦ ، ٧٧٩ .
(٥) نفسه : ٦٠١/١ .
(٦) نفسه ٦٠٣/١ .
(٧) نفسه ٦٠٢/١ .
(٨) نفسه ٦٠٤/١ .

ــ كما حكى المصنف أيضاً عن الأخير : نَبَّقْتُ الكتاب ، وبَنَقْتُــهُ ونَمَّقْتُهُ ، ونبه إلى أنها بمعنى واحد [١] .

ثانياً / التوسع في الأسماء ، وقد تضمن الكتاب الكثير مــن هــذا الضرب ، نقتصر فيه على الآتي :

ــ نقل أبوعبيد في مصنفه المذكور ما حكاه أبوزيد من أنَّ أهل تهامة يقولــون : العُضُدُ، والعُضْدُ ، والعُجُزُ والعُجْزُ ، وتميم تقول العَضُــدُ ، والعَجُزُ، ونبه المصنف إلى أن الأخير أجاز فيهما التخفيف أيضاً[٢].

ــ وحكى المصنف عن أبي زيد أيضاً من أنه يقال للشيء الذي يُدَقُّ به ، هو : المُدُقُّ ، والمِدَقُّ ، والمِدَقَّةُ [٣] .

ــ كما حكى عنه أيضاً أنه يقال : هي رُغْوَةُ اللَّــبن ، ورِغْــوَةُ ورِغَاوَةٌ ، ورِغَايَةٌ ، فتلك أربع لغات [٤].

وبعد : فقد اتضح لنا من تلك الأقوال السابقة أثر حركة التوسع والتي خَلَعها أبو زيد على من جاء بعده من اللغويين ، والتي أثْــرت بدورها حقل الدرس اللغوي ، ووسعت آفاقه .

٢ـ أبوعثمان سعيد بن محمد السَّرَقُسْطِي (المتوفىسنة٤٠٠هــ)[٥] .

وهو أحد اللغويين الذين تأثروا أيضاً بتوسع أبي زيد الأنصاري وبغيره من أئمة اللغة ، وقد انعكس هذا التأثر فــي إثــراء الســاحة

(١) نفسه : ٧٧٩/٢ .
(٢) الغريب المصنف ٦٦٠/٢ .
(٣) نفسه : ٦٦٥/٢ .
(٤) نفس المرجع والصفحة .
(٥) انظر ترجمته في: بغية الوعاة ٥٨٩/١، وكشف الظنون ١٣٣/١، ونفح الطيب .

اللغوية عن طريق تلك النَّــزْعة التوسعية والتي ضــمنها المصــنف كتابه (الأفعال) [١] .

والذي نقل في مواضع كثيرة منه توسع أبي زيــد فــي لغــات العرب ، وتأصيله لها على أنها لغات صحيحة فصيحة ، وإنكاره على من أنكرها ، فنقل السَّرَقُسْطِي الكثير من تلك اللغات التي حكاها أبــو زيد ، وأثبت فصاحتها ، نختار منها على سبيل الإيجاز ما يلي :

ــ نقل السَّرَقُسْطِي عن أبي زيد أنه حكى : جَبَنَ ، يَجْــبُنُ ، وجَــبُنَ بفتح الباء في الماضي ، وضمها أيضاً لغتان[٢].

ــ وحكى المصنف أيضاً قولهم : ورَهِصَتِ الدَّابةُ رَهصةً ، ونقل عن أبي زيد أنه روى عن الكلابيين لغة ثانية ، وهي رُهِصَتْ[٣] .

ــ كما نقل المصنف أيضاً عن أبي زيد أنه حكى : شــنف لــه وشفن له : إذا نظر إليه نظرة البَغْضَة[٤] .

ــ حكى السَّرَقُسْطِي عن أبي زيــد أنــه يقــال : بَعيــرٌ أُرْطَــوِي ، وأَرْطَاوي ، ومَأْرُوطٌ ، وأُرِطٌ وهو الذي يأكل الأَرْطَى[٥].

ــ كما حكى المصنف أيضاً عن أبي زيد قولــه : " الغُلَّــةُ والغَــلُّ ، والغَلِيلُ ، والغَلَلَ " . وذكر أن كل هذه يقال في شدة العطش[٦].

ــ كما حكى المصنف أيضاً عن أبي زيد قوله:"اللَّكْعُ، واللُّكُــوعُ، والأَلْكَعُ، واللَّكْعَانُ ، كُلُّه بمعنى اللئيم من الأحْرارِ وغيرهم[٧].

---

(١) حققه حسين محمد محمد شرف ، القاهرة ١٤١٣.
(٢) الأفعال : ٢/٢٧٠ .
(٣) نفسه : ٣/٣٣ .
(٤) نفسه : ٢/٣٤٤ .
(٥) نفسه : ١/٧١ .
(٦) نفسه : ٢/٧ .
(٧) نفسه : ٢/٤٦٣ .

كما تأثر المصنِّفُ أيضاً بتوسع أبي زيد فيما يتعلق بالمصادر ، فمن ذلك :

ــ يذكر المصنف : شَنْئَتُهُ ، شَنْأً وشُنْأً ، ويَحْكِى أن أبا زيد قد زاد : وشِنْأً ، وشَنْأةً[1].

ــ ويذكر السَّرَقُسْطِي في موضع آخر قولهم : لَقِحَتْ الناقةُ لَقَاحاً : إذا حملت ، ويُنبّه إلى أن أبا زيد قد زاد لغة أخرى ، وهي : لَقَحَت بفتح القاف ، لَقَحَاَ ولَقْحاً[2] .

ــ وحكى المصنف قولهم : ولاحَ الرجل لُوَاحاً : إذا عطش ونبّه إلى أن أبا زيد قد زاد مصدراً آخر ، وهو : وَلُوحاً[3].

ــ أيضاً حكى السَّرَقُسْطِي قولهم : ولَحَظَهُ لَحْظاً : إذا نظر إليه ، وذكر أنَّ أبا زيد زاد مصدراً آخر ، وهو : لَحَظانَاَ[4].

ومما سبق اتضح لنا جلياً تأثر أبي عثمان السَّرَقُسْطِي بمذهب المتوسعين وفي مقدمتهم أبي زيد ، والذي أفاد منه المُصنِّف في إثباته لكثير من اللغات التي يعتقد بأنها من كلام العامة ، وليست من الفصاحة بشيء ، فبرهن السَّرَقُسْطِي على فصاحتها بإسنادها إلى إمام من أئمة اللغة وعلم من أعلامها .

وثمة حقيقة نشير إليها هنا وهي أنَّ السَّرَقُسْطِي المُتأثِرُ بمذهب من سبقه من المتوسعين كأبي زيد وغيره ، قد أثَّرَ هو أيضاً فيمن جاء من بعده من اللغويين ، ولا أدلَّ على ذلك مما نقله أبو الفتح البعلي في زوائده في (ثلاثيات الأفعال) والذي أكثر فيه من النقل عن

(١) الأفعال : ٣٩٣/٢ .
(٢) نفسه : ٤٣١/٢ .
(٣) نفسه : ٤٣٥/٢ .
(٤) نفسه : ٤٤٦/٢ .

السَّرَقُسْطِي في أفعاله ، لإثبات التوسع في لغات الأفعال ، وسيأتي الحديث عن ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى .

فكانت أقوال السَّرَقُسْطِي في أفعاله أُوْلى مصادر البعلي ، وهذا كله يصب في نهر يُرْوِي ويُثْري حركة التوسع في الدرس اللغوي .

٣ ــ أيضاً امتدَّ تأثير أبي زيد في مذهبه التوسعي إلى بعض شُرَّاح الفصيح ، الذين تَصَدَّوا لأولئك المتشددين الذين أنكروا أو منعوا بعض اللغات المروية عن العرب ، فأثبت هؤلاء الشُّرَّاح فصاحة ما أُنْكِر من لغات ، بإسناد روايتها إلى أبي زيد ، والذي لا يختلف على علو شأنه ومكانته اللغوية اثنان ، فكانت الثمرة تنمية وإثراء لحركة التوسع في الدرس اللغوي .

وها نحن نوجز نماذج يتضح من خلالها تأثر بعض شُرَّاح الفصيح بمذهب إمام التوسع أبىزيد، فمن ذلك:

ــ ذكر الزمخشري في شرحه لفصيح ثعلب أنَّ الأصمعي أبى قول من قال : دَمِعَتْ عيني ، بكسر الميم ، ووجه الكلام عنده بفتحها ، فيُصرِّحُ الشارح بأن أبا زيد وأبا عبيدة جَوّزا ما أباه الأصمعي(١).

ــ أيضاً نقل الزمخشري أن الأصمعي رفض أن يقال : أَرْعَدَ ، وأبْرَقَ ، بالألف ، من الرَّعْد والبَرق ، ومن ثَمَّ نَبَّه الزمخشري إلى أن أئمة اللغة أجازوا ذلك ، وفي مقدمتهم أبي زيد(٢) .

ــ ذكر الزمخشري أيضاً في شرحه للفصيح إنكار الأصمعي لقولهم: نَشَرَ الله الموتى، والصواب عنده أن يقال ذلك بالألف، إلا أن الزمخشري صرَّح بأن أبازيد نصَّ على فصاحة ما أنكره الأصمعي(٣).

(١) انظر شرحه للفصيح : ١٧ .
(٢) شرحه للفصيح : ٧٦ .
(٣) نفسه : ٢٢٣ .

كما أن مذهب أبي زيد التوسعي كان له تأثير إيجابي تمثل في إثرائه للغات العرب، بإضافته لغة أخرى، أو أكثر وسمها المتشددون بالخطأ ، أو حملوها على لغات العامة ، ومن أمثلة ذلك :

ـ منع المتشددون قول من قال : سَخِرْتُ به[1]، إذ الصواب عندهم أن يُقال : سَخِرْتُ منه ، وحكى أبو زيد وغيره اللغة الأولى[2]، إلى جانب اللغة الفصحية المقدمة .

ـ وإذا كان صاحب الفصيح قد وقف عند اللغة العالية في قوله : " شَغَلَني عنك أمرٌ "[3] فقد حكى ثابت في لحنه أنه يقال : أشْغَلَني بالألف ، وصرَّح بأنه سمعها من أبي زيد[4] .

ـ أيضاً اقتصر علماء التنقية ، وفي مقدمتهم صاحب الفصيح على لغة العلو والفصاحة في قوله : " أُغْمِيَ على المريض "[5] بينما حكى أبوزيد عن بعض الأعراب قولهم : قد غُمِيَ ، فهو هنا يضيف لغة أخرى[6].

ـ وحكى صاحب الفصيح لغتين هما: جَنَّ عليه اللَّيلُ،وأجَنَّهُ[7]، وأضاف أبو زيد وغيره من المتوسعين لغة ثالثة ، هي : جَنَّه[8] .

---

(١) انظر : ما تحلن فيه العامة ١٠٨ ، والإصلاح ٢٨١ ، وأدب الكاتب ٤١٩ ، وتقويم اللسان ١٢٣ ، وتصحيح التصحيف ٣٠٨ .
(٢) انظر : شرح الزمخشري للفصيح ٢٣١ ، والصحاح ، واللسان (سخر)٠
(٣) الفصيح : ٢٦٨ .
(٤) انظر : تحفة المجد ٢٧٤ ، ٢٧٥ .
(٥) الفصيح : ٢٧٠ .
(٦) انظر : تحفة المجد : ٣٤١ .
(٧) ص : ٢٧٨ .
(٨) انظر شرح الزمخشري للفصيح : ٢٣٦ .

ــ كما أثبت صاحب الفصيح في موضع من فصيحه لغتين في الماضي أيضاً ، هما : (بَرِئْتُ من المرض ، وبرأت)[١]. وحكى ابن يونس في مُبرِّزه عن أبي زيد لغة ثالثة ، هي برى ، يَبْرَي ، بكسر الراء في الماضي من غير همز[٢] .

ويظهر تأثر مذهب أبي زيد في توسعه اللغوي أكثر وضوحاً في تصويبه وتفصيحه لكثير من لغات العامة ، والتي خطأها من تشدَّد من اللغوين الآخرين ، فيبلغ هذا التأثير والتأثر قمته لدى أبي جعفر اللبلي في كتابه (تحفة المجد الصريح) والذي يَبْرُزُ فيه التوسع من أوسع أبوابه ، فتأثر بذلك بأئمة اللغة المتوسعين عامة ، وبمذهب أبي زيد خاصة ، وذلك بما نقله عنه في تحفته ، والذي برهن في ثناياه عن توسع العرب في لغاتهم ، ومن هذا التوسع تصويبه لكثير من لغات العامة التي وسمت بالخطأ ، وهو في مذهبه هذا يدلل على فصاحتها ، مستشهداً بما ينقله عن أبي زيد ، وقد جاء ذلك وافرٌ في ثنايا كتابه (تحفة المجد) نختار منه ما يلي :

ــ ذكر أبو جعفر اللبلي إنكار ابن درستويه وتخطئته لقول العامة : بَرَّ حَجَّكَ ، بفتح الباء ، ثم يصرِّحُ أبو جعفر بأنَّ قول العامةِ صحيحٌ فصيحٌ ، وذلك بما حكاه أبو عبيد عن أبي زيد[٣] .

ــ كما خطأ ابن درستويه أيضاً قول العامة : أجِنَ الماءُ ، بكسر الجيم ، إذ إن الصواب عنده فتحها . إلا أن أبا جعفر ينقل عن أبىحاتم في تقويم المفسد ما حكاه الأخير عن أبي زيد من أنَّ لغة العامة صحيحة فصيحة[٤] .

---

(١) ص : ٢٦٤ .
(٢) انظر : تحفة المجد ١٧٦ .
(٣) انظر تحفة المجد : ٣٥٠.
(٤) نفسه : ١٢٣ .

ــ وفي موضع آخر من التحفة أيضاً يذكر أبو جعفر تخطئة ابن درستويه لقول العامة : نَهَكَهُ المرض وغيرُه ، بفتح الهاء ، حيث يرى ابن درستويه أن الصواب كسرها ، فيُصرِّح أبو جعفر بما نقله عن أئمة اللغة الثقات وفي مقدمتهم أبي زيد بصواب لغة العامة(١).

ــ كما ينقل أبو جعفر أيضاً عن ابن درستويه تخطئته لقول العامة : أَجْهَدَ دَابّتَهُ ، بالألف ، والصواب عنده بغير ألف ، ومن ثم يُصرِّح أبو جعفر بصواب ما خطأه الأول ، حاكياً ذلك عن أبي زيد(٢). وهذه اللغة نعتها الزمخشري بالجودة والفصاحة ، ووافقه الزجاج وابن القطاع فيما ذهب إليه من تفصيحه للغة العامة(٣).

ومن آثار حركة توسع أبي زيد في لغات العرب نجده ــ وفي بعض المواضع ــ يجمع بين تفصيحه للغة العامة ، وبين نسبتها إلى إحدى قبائل العرب ، وهو بهذا يُعْلي من فصاحتها فمن ذلك نذكر :

ــ أنكر بعض المتشددين قول العامة : عَجِزْت ، بكسر الجيم ، فينقل أبو حاتم في تقويم المُفْسَد عن أبىزيد أنها لغة لبعض قيس(٤).

ــ أيضاً جاء في فصيح ثعلب قوله : " ونَكَلَ عن الشيء "(٥) بالفتح ، وحكى يعقوب في الإصلاح عن الأصمعي أنه لا يقال : نَكِلَ ، بكسر الكاف ، بينما يحكي أبو حاتم في تقويم المفسد ، عن أبي زيد اللغتين جميعاً ، ويُصرِّح الأخير بأن الكسر لغة تميمية(٦).

---

(١) تحفة المجد : ١٧٣ .
(٢) نفسه : ٢٩٧ .
(٣) انظر شرح الزمخشري للفصيح ١٠٦، وفعلت وأفعلت للزجاج ١٨ وأفعال ابن القطاع ١٤٧/١ .
(٤) انظر تحفة المجد : ٧١ .
(٥) ص : ١٨٨ .
(٦) تحفة المجد : ١٠٤ .

ــ ذكر أبو جعفر اللبلي في تحفته أن ابن درستويه خطأ قــول العامة : عَضَضْتُ ، بفتح الضاد الأولى ، حيث إنه يرى أن الصــواب كسرها ، وينقل أبو جعفر ما حكاه صاحب الموعب عن أبي زيد مــن أنَّ الفتح لغة تميمية أيضاً[1].

(١) تحفة المجد : ١٥٧ .

ثانياً / ابن سيده الأندلسي[1]

ومن آثار هذه الحركة التوسعية ما أفرزته بعض المعاجم اللغوية ، من تنمية للثروة اللغوية ، تمثل بما اشتملت عليه من لغات ، كونت حقلاً خصيباً في مجال تنمية الدرس اللغوي وازدهاره ، فظهرت بعض المؤلفات والتي تأثرت بحركة التوسع اللغوي ، وخاصة في بلاد المغرب العربي ، ممثلة بمعجم ابن سيده (المحكم والمحيط الأعظم) والذي ضمنه المؤلف الكثير من اللغات التي أهملتها المعاجم الأخرى ، فلم تأت بها ، فذكر ابن سيده عدداً من تلك اللغات التي وسمها بعض اللغويين المتشددين بالخطأ ، أو حملوها على لغات العامة ، فأصلها على أنها لغات صحيحة فصيحة ، رُويت عن العرب الفصحاء ، وعليه فلا ينبغي رفضها ، أو تجاهلها ، أو تخطئة مستعمليها ، وأن وقوف المتشددين في التنقية على اللغة الأولى والمقدمة فصاحة لا يُقَلل من شأن تلك اللغات التي رفضوها ، بحجة أنهم لم يقفوا على مصادرها من كلام العرب الفصحاء ، فقد وقف عليها غيرهم ، وبرهن على فصاحتها وهو بصنيعه في معجمه هذا يكسو الثروة اللغوية حلية تُثري حقلها الخصيب بما حكاه من لغات رويت عن العرب الفصحاء ، وقد أثرى بها الدرس اللغوي ، ووسَّعَ ضيقا حجره آخرون ، نختار من ذلك ما يخدم هدفنا المنشود وبشيء من الإيجاز :

---

(١) هو علي بن اسماعيل ، وقبل محمد ، وقيل أحمد ، ولد حوالي عام ٣٩٨هـ شرق قرطبة ، كان ضريراً كأبيه ، تلقى العلم على أبيه ، ألف عدة كتب ، توفي سنة ٤٥٨هـ ، وانظر ترجمته في : إشارة التعيين ٢١٠ ، وبغية الوعاة ١٢٦/٢ ، ومعجم الأدباء ٨٤/٥ .

ـ اقتصر أصحاب التنقية على (أجَنَ الماءُ) بالفتح[١]، فصرَّح ابن سيده بوجود ثلاث لغات، هي: أَجَنَ العالية المقدمة وأجِن، بكسر الجيم، وأَجُنَ، بضم الجيم، واللغتان الأخيرتان أهملها المنقون كما أشرنا سابقاً [٢] .

ـ أيضاً جاء في فصيح ثعلب قوله:"غاظني الشيء"[٣] واقتصر أصحاب مذهب التنقية عليها[٤]، بينما يُصرِّح ابن سيده بذكر ثلاث لغات :غاظني ، لغة الفصيح ، وأغاظني بالألف ، وغَيَّظَني [٥].

ـ كما حكى ابن سيده ثلاث لغات في (حزن) هما : حَزَنَهُ الأمرُ ، وأَحْزَنَهُ بالألف ، وحَزِنَهُ ، بكسر الزاي[٦]، وقد وقف المنقون على اللغة الأولى[٧].

ـ جاء في فصيح ثعلب قوله: "وعَرِجَ الرجلُ: إذا صار أعرج، هذه اللغة العالية المقدمة، والتي وقف عندها المنقون[٨]، إلا أنَّ ابن سيده يضيف إليها لغتين أخريين ، هما : عَرَج ، وعَرُج ، بفتح الراء وضمها[٩].

(١) انظر : أدب الكاتب ٣٩٩ ، وتصحيح الفصيح ٥٣ .
(٢) المحكم : ٣٤١/٧ (أجن) .
(٣) ص : ٢٦٨ .
(٤) انظر : أدب الكاتب ٣٧٥ ، وتثقيف اللسان ١٧٩ ، وتصحيح التصحيف ١١٦ .
(٥) المحكم :٩/٦ (غضض).
(٦) نفسه : ٦٥١/٣ (حزن) .
(٧) انظر : الفصيح ٢٦٨ ، وشرح ابن الجبان ١١٩ .
(٨) انظر : الإصلاح ٢٨٦ ، وأدب الكاتب ٣٤٧ والفصيح ٢٧٢ .
(٩) المحكم : ١٨١/١ (عرج) .

ــ وإذا كان المنقون[١] أيضاً قد اقتصروا في قولهم : عَيَّ بالأمر، إذا لم يعرف وجهته ، فإن ابن سيده أضاف إلى ما سبق ثلاث لغات هي : عَيِيَ ، وتَعَايَا ، واسْتَعْيَا ، كلها بمعنى .

ولم يقتصر توسع ابن سيده في مجال اللغات فحسب ، بل نجد هذا التوسع ظاهراً بوضوح عند ذكره للمصادر والصفات والجموع ، وهو توسع انفرد به المصنف عن غيره من اللغويين الآخرين ، حيث إننا لا نجد لهذا التوسع ذكراً أو أثراً عند أولئك المتشددين في تنقية اللغة ، ويكشف ابن سيده عن توسعه في هذا الجانب من خلال الآتي :

ــ ففي الفعل (رَضع) يورد المصادر التالية : رَضْعٌ ، ورَضِعٌ، ورَضَاعٌ ، ورِضَاعٌ ، ورَضَاعَةٌ ، ورِضَاعَةٌ [٢].

ــ ويذكر أن من مصادر (سَخُنَ) : سُخُونَة ، وسَخَانَةٌ ، سُخْنَةٌ ، وسُخْنَاً ، وسَخَنَاً[٣].

ــ وفي قولهم : خَفَرْتُ الرَّجلَ إذا حَفظْتَه ، يذكر ابن سيده : الخَفَارَةَ والخُفَارَة ، والخِفَارَة ، باللغات الثلاث[٤]، والتي لا وجود لهن عند المنقين .

ــ وفي قولهم: حَمِدْتُ الرَّجُلَ ، يذكر : حَمْداً ، وحَمْدَةً ، ومَحْمَداً ، ومَحْمِداً ، ومَحْمَدةً ، ومَحْمِدَة ، بكسر الميم وفتحها[٥].

---

(١) انظر الفصيح : ٢٧٣ ، وتصحيح الفصيح : ١٢٦ ، وشرح ابن الجبان ١٣٤ .
(٢) المحكم ٢٥٠/١ (رضع) .
(٣) نفسه : ٥٠/٥ (سخن) .
(٤) نفسه: ١٠٦/٥ (خفر) .
(٥) نفسه: ١٩٨/٣ (حمد).

ـ وفي (عَضَّ) يّحْكي : عَضٌّ ، وعَضِيضٌ ، وعِضَاضٌ [١] .

كما انه يُصرِّح بذكره لكثير من الصفات ، التي لا وجود لها عند علماء التنقية ، نقتصر منها على مثالين :

ـ ففي قولهم : غَدَرْت بالرجل ، يذكر من الصفات : غَادِرٌ ، وغَدَّارٌ ، وغَدُورٌ [٢] .

ـ وفي قولهم : رَجُلٌ حَسُودٌ ، يذكر : حُسَّداً ، وحُسَّاداً ، وحَسَدَةً[٣].

ـ كما أنه يُصرِّح بذكره لبعض الجموع والتي سكت عنها علماء التنقية ، كقوله في جمع (الهَدِيَّة) : هدايا ، وهَدَاوَى ، وهَدَوِي ، وهَدَاوٍ[٤].

ونخلص مما سبق إلى أن ابن سيده من المغاربة المتوسعين في لغات العرب ، وقد اتضح لنا هذا جلياً من خلال معجمه (المحكم) ، وهذه الحركة التوسعية والتي ضمنها المُصَنِّفُ كتابه كانت رافداً قوياً من تلك الروافد التي أثرت الدرس اللغوي ، وأمدته بتلك الثروة اللغوية ، والتي حجرها البعضُ على غيرهم من اللغويين .

وثمة ملحوظة ، وهي : أن ابن سيده لم ينفرد وحده بصنيعه هذا بمعجمه المذكور ، وإنما شاركه بعض أصحاب المعاجم الأخرى ، والذين سلكوا من خلال ما تضمنته معاجمهم مسلك ابن سيده في إثباتهم لتوسع العرب في لغاتهم وذلك بما نقلوه عن الثقات من اللغويين ، كما هو الحال عند الصاغاني في تكملته على صحاح

---

(١) نفسه: ٢٧/١ (عضض) .
(٢) المحكم: ٢٧١/٥ (غدر) .
(٣) نفسه: ١٢٧/٣ (حسد) .
(٤) نفسه : ٢٦٩/٤ (هدي) .

الجوهري ، وكما فعل الزَّبيدي أيضاً في تاج العروس ، وما تضمنه معجمه المذكور من تصريحه بكثير من اللغات التي رفضها المتشددون ، فأبان المصنِّفُ عن صحتها ، وبرهن على فصاحتها ، مستشهداً بأقوال أئمة اللغة على صحة ما ذهب إليه ، وسيأتي الحديث عن هذين المعجمين في موضعيهما . إن شاء الله تعالى .

ثالثاً / ابن السِّيْد البطليوسي

هو أبو محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي توفي سنة ٥٢١ هـ [١].

وهو أحد أرباب التوسع اللغوي ، وقد تمثل ذلك في كتابه (الاقتضاب في شرح أدب الكُتَّاب)[٢] والذي تعقب فيه ابن قتيبة في كتابه (أدب الكاتب) وهو كما يُقَرِّرْ (يوهان فك) قد احتضن مذهب الأصمعي في تنقية اللغة ، دون أن يعنى بمذاهب الثقات الآخرين من علماء اللغة[٣].

فأنكر الشارح على ابن قتيبة تشدده ، ومنعه لكثير من اللغات المستعملة في كلام العرب ، والمرويِّة عن أئمة اللغة الثقات ، فنبَّه إلى ما غلط فيه واضع الكتاب ، أو الناقلون عنه ، وما منعه المُصنِّفُ أو تشدد فيه ، وهو صوابٌ فصيحٌ في نظر الشارح . نختار من ذلك ما يخدم غرضنا المقصود ، وقد عمدنا إلى الإيجاز ما أمكن ذلك ، وهذه بعض الأمثلة والتي يتضح من خلالها تشدد ابن قتيبة في منهجه اللغوي ، يقابلها توسع الشارح في لغات العرب ، وذلك من خلال

---

(١) ولد في بطليوس في سنة ٤٤٤هـ وإليها ينتسب إمام من أئمة النحو ، وعَلَمٌ من أعلام اللغة والأدب وكان موسوعة علمية ، وصف بغزارة الحفظ وسعة الاطلاع ، وقوة التقصي ، والدقة في البسط والشرح ، والثقة فيما قَيَّدَ وحَفِظ ، وضبط وروى ، عرف بوضوح المنهج ، وسلامة المنطق ، واستقامة الحُجَّة ، أخذ في التعليم والتدريس ، كما أخذ في التأليف والتصنيف ، فله مصنفات ومؤلفات كثيرة ، توفي سنة ٥٢١هـ ، انظر ترجمته في : إشارة التعيين ٦٨٠ ، وبغية الوعاة ٥٥١٢، ٥٦.

(٢) حققه : مصطفى السَّقَّا ، وحامد عبدالمجيد .

(٣) انظر : العربية (يوهان فك) ٩٩ .

تعقبه للأول ، والردود عليه ، والذي أفاد بدوره حركة التوسع في الدرس اللغوي ، فمن ذلك :

ـ أنكر ابن قتيبة على من قال : أَخَذَهُ قَصْراً ، فَهو يرى أن الصواب أن يقال بالسين ، لا بالصاد[١]. فَبَيَّنَ الشارحُ إلى أن ما قاله المُصَنِّفُ هو المشهور ، إلا أن من اللغويين من حكا اللغتين كما فعل ابن السكيت في الإصلاح[٢].

ـ أنكر ابن قتيبة على بعض المتحدثين قولهم : بَخَسْتُ عَينَهُ ، بالسين ، إذ إنه يرى أن البخس عنده بمعنى النُّقْصان ، ومثلها قولهم : سَنْجَة الميزان ، والسِّمَاخ ، وبَسَقَ الرجلُ ، فهو يرى أن هذه الألفاظ كلها تقال بالصاد ، ليس غير[٣]. قلت : وقد وافق ابن قتيبة ما قرره يعقوب[٤]، وغيره من علماء التنقية ، بينما يُصرِّح الشارح أنها تقال بالصاد والسين ، حاكياً ذلك عن الخليل وغيره[٥].

ـ منع ابن قتيبة قولهم : ثِيَابٌ جُدَدْ ، بفتح الدال الأولى ، والصواب عنده ضمها[٦]، بينما يذكر الشارح أن أبا العباس المبرد وغيره أجازوا في كل ما جمع من المضاعف على (فُعُل) الضم والفتح ، لثقل التضعيف ، ثم يستشهد على مذهبه بقراءة بعض القُرَّاءِ[٧].

---

(١) انظر : أدب الكاتب ٣٨٦ ، وانظر : الإصلاح ١٦٧ .
(٢) انظر : الاقتضاب ١٩٦/٢ ، والإصلاح ٢١٧ .
(٣) أدب الكاتب ٣٨٧ .
(٤) انظر الاصلاح ١٨٤ ، وتقويم اللسان ٨٢ ، وتصحيح التصحيف ١٥١ .
(٥) انظر: الاقتضاب ١٩٧/٢، وانظر العين ٢٠٣/٤ (بخس).
(٦) انظر : أدب الكاتب ٣٩٤ .
(٧) انظر : الاقتضاب ٢١٠/٢ .

ــ أنكر المصنف على من قال : دَابَّةٌ فيها قُمَاصٌ ؛ والصواب عنده كسر الصاد[١]، فيُصرِّح الشارح بأن الضم والكسر جائزان ، حاكياً ذلك عن غير واحد من اللغويين[٢].

ــ أنكر ابن قتيبة قولهم : ماءٌ مالحٌ [٣]، والصواب عنده أن يقال : مِلْحٌ ، فيتعقبه الشارح موضحاً بأن ما حكاه ابن قتيبة وافق ما قاله يعقوب في الإصلاح ، وابن دريد في الجمهرة ، ورواه الرواة عن الأصمعي ، ويُنَبِّهُ إلى أنَّ هذا هو المشهور من كلام العرب ، إلا أنَّ قوله العامة لا يعد خَطَأً ، وإنما يجب أن يقال : إنها لغةٌ قليلة[٤].

ــ أنكر ابن قتيبة أيضاً قولهم : هو الرُّسْتَاقُ ، بالسين والتاء ، ويرى أن الصواب : الرُّزاداق ، بالزاي والدال[٥]. فذكر الشارح أن ما قاله ابن قتيبة قد سبقه إليه يعقوب في الإصلاح وأنَّ ما أنكره صحيح ذَكَره غير واحد[٦] .

ــ رفض المصنف قولهم : عَرَّ الظَّليمُ ، إذا صَوَّت ، والصواب عنده أن يقال : عَارَّ ، بالألف[٧] ، إلا أن الشارح يرى فصاحة ما أنكره المصنف بما حكاه أبو عبيد في الغريب المصنف عن أبي عمرو[٨].

---

(١) انظر : أدب الكاتب ٣٩٦ .
(٢) انظر : الاقتضاب ٢/٢١٤ .
(٣) انظر أدب الكاتب : ٤٠٤ .
(٤) انظر : الاقتضاب ٢/٢٢٣ .
(٥) انظر : أدب الكاتب ٤٠٨ .
(٦) انظر : الاقتضاب ٢/٢٢٧ .
(٧) انظر : أدب الكاتب ٤٠٨ .
(٨) انظر : الاقتضاب ٢/٢٢٨ ، واللسان (عرر).

ـ خطأ ابن قتيبة قولهم : سكرانٌ مُلْطَخٌ ، والصواب عنده أن يقال : مُلْتَخٌ ، أي لا يفهم شيئاً[١] . فيرد عليه الشارح بأن ما خطأه صواب فصيح ، حكاه يعقوب في الإصلاح[٢] كما أضاف الشارح أيضاً لغة ثالثة حاكياً إياها عن اللحياني وهي (مُلْتَبِكٌ) [٣] .

ـ وأبى ابن قتيبة فتح الكاف في (كِسرى) مُصرِّحاً بأنها بالكسر ليس غير ، ويرى الشارح أن الفتح والكسر فيه جائزان ، وإنما اختلفوا في المختار منهما ، فنبَّهَ إلى أن أبي حاتم اختار الكسر، بينما اختار المبرد الفتح[٤] .

ولم يقتصر تعقب ابن السيد لا بن قتيبة في تشدده ، وإجازة ما منعه الأخير ، وتفصيحه على أنه لغة من لغات العرب المروية عنهم وإنما تجاوز الشارح ذلك ، فأضاف لُغات عن العرب لم يرد لهن ذِكرٌ عند ابن قتيبة في كتابه المذكور ، ومن ذلك :

ـ ينقل الشارح عن ابن قتيبة أنه ذكر لغات في (الشَّمَال) فأضاف ابن السيد لغة سادسة، هي (الشَّمُول) على وزن (رَسول) ثم يستشهد لفصاحتها ببيت للأخطل[٥] .

ـ أيضاً نقل الشارح عن المصنف أنه ذكر ثلاث لغات في (الأُبْلُمَة) فأضاف الأول نقلاً عن ابن القطاع لغة رابعة ، أهملها الثاني وهي : (إبْلَمَة) بكسر الهمزة وفتح اللام[٦] .

---

(١) انظر : أدب الكاتب : ٤١٢ .
(٢) ص : ٣١٢ .
(٣) انظر الاقتضاب ٢/٢٣٠ .
(٤) انظر : الاقتضاب ٢/٢٣٧ .
(٥) نفسه ٢/٣٢١ .
(٦) انظر : الاقتضاب ٢/٣١٩ .

ــ وفي موضع آخر من (الاقتضاب) ينقل الشارح عن ابن قتيبة أيضاً أنه ذكر أربع لغات في (العَضد والعَجز) ، بفتح الأول وكسر الثاني ، ويرى أيضاً جواز التخفيف في هذه اللغة ، ونقل الكسرة إلى الأول[١] .

وهذا التوسع لدى ابن السيد أيضاً كشف عنه مُؤَلَّفَهُ الموسوم (بمثلث ابن السيد) وللكتاب حظ من عنوانه ، حيث أبان العنوان أن المؤلف اعتنى فيه بالألفاظ المثلثة ، وهي أعلى مراتب التوسع ، وفيه تتجلى أعظم صُوَرِه ، نلمح إلى شيء منها :

ــ حكى ابن السيد تثليث العين في الفعل (رَعُف)[٢] .

كما حكى ثلاث لغات في الفعل (عَجَزَ) هي : عَجَزَ ، وعَجِزَ ، بفتح الجيم وكسرها ، وصرَّح بلغة ثالثة . هي : تَعَجَّزَ[٣].

ــ أيضاً حكى في مثلثه من أنه يقال : عَمَرْت المكان بالفتح ، وعَمِرت بالمكان ، بالكسر : أقمت ، وأضاف لغة ثالثة عن قطرب ، هي : عَمُرَ المكان بالضم[٤] .

ــ كما حكى أيضاً ثلاث لغات مصادر في الفعل (وَدِدَ) هي : وِدَادٌ ، ووَدادٌ ، ووُدَادٌ ، أي بتثليث الواو[٥] .

ونخلص مما سبق إلى القول بأنَّ هذا العالِم اللغوي المغربي أفاد بتأصيله لكثير من اللغات والتي وقف المتشددون إزائها موقفين : إما

---

(١) نفسه ٣١٩/٢ ، ٣٢٠ ، وانظر الاصلاح ١٨٨ ، وتثقيف اللسان ١٧٣ ، وأفعال السرقسطي ٢٢٠/١ .
(٢) انظر المثلث ٣٠/٢ ، تحقيق صلاح الفرطوسي ، دار الرشيد للشر ١٤٠١هـ .
(٣) المثلث : ٢٧٨/٢ .
(٤) نفسه :٢٠٠/٢ .
(٥) نفسه : ٤٧١/٢ .

التقليل من شـــأنها ونعتهـــا بـــالرداءة أو الشـــذوذ ، أو القلـــة ، أو تصريحهم بتخطئتها ، وتلحين مستعمليها ، فهـــذا العـــالِم بصـــنيعه وتصريحه بفصاحة تلك اللغات وصوابها أضاف إلى هـــذا المـــوروث اللغوي ثروة لُغوية أخرى أفادت منها حركة التوسع ، والـــذي أفـــاد بدوره في تنمية وازدهار وإثراء الدرس اللغوي وتوسيع آفاقه.

رابعاً: ابن هشام اللخمي (ت٥٧٧هـ)[١]

إذا كان ابن هشام اللخمي في شرحه للفصيح من العلماء اللغويين المُنقين ، فإنه في مؤلفه (المدخل إلى تقويم اللسان) يُغَلِّبُ فيه النَّزْعة التوسعية في إثباته لكثير من اللغات التي رفضها أئمة التنقية اللغوية ، أو خطؤها ، أو حملوها على لغات العامة ، وكما فعل ابن السِّيد البطليوسي في تغقبه لابن قتيبة ــ وكما مرَّ بنا ــ فعل هذا ابن هشام اللخمي عند تعقّبه لعالمين من علماء التنقية ، هما : الزُّبيدي في كتابه (لحن العامة) وابن مكي الصَّقَلي في كتابه (تثقيف اللسان) فقام ابن هشام بتعقبهما والرَّد عليهما ، وأنكر تشدُّدهما في اللغة المروية عن العرب ، ويبدأ المؤلف كتابه (المدخل إلى تقويم اللسان) بالرد على الزُّبيدي ، منكراً عليه تشدده في توسع العرب في لغاتهم ، مستشهداً على صواب ما ذهب إليه بما حكاه أئمة اللغة المتوسعين ، فمن ذلك :

ــ أنكر الزبيدي على العامة قولهم : (لجَجْتُ وغَصَصْتُ) ويرى أن الصواب كسر العين فيهما ، فيرد عليه ابن هشام من أنه حُكِيَ فيها الكسر والفتح ، وإن كان الكسر أفصح ، فإن الفتح ــ وكما يرى ابن هشام ــ لغة أيضاً ، وبما أنها لغة فلا حجة لتلحين العامة فيها[٢].

ــ كما أنكر الزُّبيدي على العامة قولهم : غَلَقْتُ الباب ، ويرى أنها لغة ضعيفة ، والفصيح عنده أن يُقال ذلك بالألف . فَيُبيِّنُ الرَّادُ

(١) أبوعبدالله محمد بن أحمد بن هشام بن خلف اللخمي البستي، ت٥٧٧ . ترجمته في: البلغة ٢٠٩ ، وإشارة التعيين ٢٩٨ .
(٢) المدخل إلى تقويم اللسان ٣١ .

أنها وإن كانت لغة رديئة ، فلا يجب أن تُلَحَّنَ فيها العامة ؛ لأنها من كلام العرب ، وإن قلت وضعفت[١].

ـ كما أنكر الزُّبيدي على العامة قولهم : سَكْرَانة ، لأنهم يبنونها على (سَكرَان) ويرى أن الصواب أن يقال : سَكْرَى ، ثم يَحْكِي الزبيدي عن يعقوب أن قوماً من بني أسد يقولون (سَكْرانة) على لغة العامة . ويرى ابن هشام بعدم تلحين العامة في قولهم هذا ؛ لأنهم نطقوا بها كما نطقت بها بعض قبائل العرب ، فلا حجة هنا لتحلين العامة[٢] .

ـ ويُنكر الزُّبيدي على العامة أيضاً قولهم : خَيْزَرَان ، والصواب عنده أن يقال : خَيْزُران ، بضم الزاي ، واستشهد أبوبكر الزبيدى بقول الفرزدق:

فى كفه خيزران ريحه عبق ∴ من كف أروع فى عرنينه شمم

فيُصرِّح الرَّاد بأنِّ من اللغويين من حكاه باللغتين ، وعلى هذا لا يرى أن في كلام العامة لحناً[٣] .

ـ أيضاً أنكر الزُّبيدي على العامة قولهم : لُطِخ الرَّجُلُ بِشَرٍّ ، حيث إنه يرى أن الصواب أن يقال : لُطِحَ ، بالحاء غير معجمه ، فيأتي رَدُّ ابن هشام بما حكاه ابن سيده وغيره من اللغويين من صواب وفصاحة قول العامة ، ويُنبِّه ابن هشام إلى أن ما حكاه أهل اللغة لا ينبغي أن يتجاهله الزُّبيدي[٤] .

(١) المدخل إلى تقويم اللسان ٣٢ .
(٢) نفسه ٣٥ .
(٣) نفسه ٣٦ .
(٤) نفسه ٣٧ .

وما تلك الأمثلة السابقة إلا غَيْضٌ من فيض أفاضها ابن هشام في كتابه سالف الذكر،ومن أراد الاستزادة فليرجع إليها في مظانها[١] .

ولم يكتف ابن هشام في تعقبه للزبيدي فحسب ، وإنما فعل هذا الصنيع مع ابن مكي الصقلي أيضاً ، فتعقبه وتولى الرَّد عليه مُبيّناً عدم توفيقه إلى ما ذهب إليه من إنكاره لكثير من لغات العامة ، فأبان ابن هشام في ردوده تلك عن سلامة لغة العامة ، والذي يعد من آثار توسع العرب في لغاتهم ، فأصلها مثبتاً صحة ما ذهبوا إليه ، ويتضح هذا فيما يلي :

ـ يُخَطِّي ابن مكي قول العامة للسَّذاب[٢] : فَيْجَلٌ ، ويرى أن الصواب : فَيْجَنٌ بالنون ، فيُصرِّح ابن هشام اللخمي بصواب ما خطأه الأول ، وأنه يقال : باللام والنون ، حاكياً ذلك عن المطرز في شرحه[٣].

ـ أيضاً أنكر ابن مكي على العامة قولهم: مَغْزَل، بفتح الزاي، إذ يرى أن الصواب كسرها، فيُصرِّح الرَّاد بأن فيها ثلاث لغات، حاكياً ذلك عن المطرز أيضاً [٤].

ـ كما يخطئ ابن مكي قول العامة : حَزَّة السراويل ، ويرى أن الصواب : حُجْزَة ، فيُصرِّح اللخمي بصواب قول العامة ، حاكياً ذلك عن ابن الأعرابي [٥].

---

(١) انظر: ماجاء في الكتاب في الرد على الزبيدي في لحن العامة من ص ١١ إلى ص ٤٥ .
(٢) جنس نباتات طبية ، انظر : المعجم الوسيط ٤٢٦/١ .
(٣) المدخل إلى تقويم اللسان : ٤٦ .
(٤) نفسه : ٤٧ .
(٥) نفسه : ٦٠ .

ــ كما أنكر ابن مكي على العامة –أيضاً– قولهم : عليه طِلاوَة، ويرى أنَّ الصوابَ فتح الطاء وضمها ، فيُصرِّح الــرَّاد بــأن الطــاء مثلثة، فلا معنى لإنكاره على العامة[١] .

ــ أيضاً أنكر ابن مكي على بعض العامة قولهم : دَيَبَاج ، بفتح الدال ، ويرى أن الصواب كسرها ، ويُصرِّح الرّاد بأن الفــتح فــي : دِيوان ودِيباج لغة ، حاكياً إياها عن ابن دريد[٢].

وإن كنَّا قد اقتصرنا على ذكر هذه النماذج على تشدد ابن مكي، والذي يقابله توسع ابن هشام في لغات العرب ، فإن الكتاب حوى في ثناياه الكثير من مثل ما تقدم[٣] ، هذا فيما يتعلق بتعقب ابن هشــام لهذين العالمين والمتشددين فيما يتعلق بتنقية اللغة ،وإلا فــإن ابــن هشام نراه يُصرِّح بالتوسع ومن أوســع أبوابه ،وذلك عندما يذكر أن في(البَازِي) [٤] ثلاث لغات، ومثلها في (المديل)[٥] وكذلك (السُّــمُ)[٦]، و(الأرْبِعَاء)[٧]، اليوم من أيام الأسبوع، ومثلهــــا فــي(الجُبُنُ)[٨] أيضاً ، وحَكَى أربع لغات في (الفَمِ) [٩] ومثلها في (النِّطَعِ)[١٠] وكذلك

(١) نفسه : ٥٣ .
(٢) المدخل إلى تقويم اللسان : ٦٩ .
(٣) انظر ما جاء في الكتاب في الرَّد على ابن مكي في لحن العامة ، من ص ٤٦–٧١ .
(٤) المدخل إلى تقويم اللسان : ٧٦ .
(٥) نفسه : ٧٩ .
(٦) نفسه : ٨٠ .
(٧) نفس المرجع والصفحة .
(٨) نفسه : ٨١ .
(٩) نفسه : ٧٥ .
(١٠) نفسه : ٧٧ .

وكذلك في (الأُضْحِيِّةِ)[١] ومثلها في (المَرْأَةِ)[٢] وكذلك في (الصَّدَاق)[٣].

ومثلها أيضاً في (اللِّصّ)[٤]. كما حَكَى خمس لغات في (الإضبارة)[٥]، وستاً في(الرُّغْوَةِ)[٦] وكذلك في (العَضُدِوالعَجُزِ)[٧]، ومثلها في (الخَاتِم)[٨]، وسبعاً في (العَرَبُون)[٩] وتسعاً في (الأَصْبَعِ ، والأَنْمَلَةِ)[١٠] .

ويبقى لنا أن نقول : بأن ما قام به ابن هشام اللخمي من فتح لأفاق التوسع في كتابه آنف الذكر، بتوسعه فيما رواه عن أئمة اللغة الثقات فيما حكوه من لغات صحيحة فصيحة عن تلك القبائل العربية ، ما هو إلا إنارة أضاءت آفاق التوسع في الدرس اللغوي، في شتَّى جوانبه وبرهانٌ على صدق من ذهب إلى القول : بأن كل من يتكلم بلغة من لغات العرب، أو يقيس عليها ولو كانت نادرة أو رديئة، فهو مصيبٌ ولا يخطأ ما دام ما استعمله له وجه في العربية يُجِيزه[١١].

---

(١) نفسه : ٧٩ .
(٢) نفس المرجع والصفحة .
(٣) المدخل إلى تقويم اللسان ٨١ .
(٤) المدخل إلى تقويم اللسان : ٩٧ .
(٥) نفسه : ١٠٢ .
(٦) نفسه : ٧٥ .
(٧) نفسه : ٩٤ .
(٨) نفسه : ٨٥ .
(٩) نفسه : ٨٣ .
(١٠) نفسه : ٨٠ .
(١١) انظر : الخصائص ١٢/٢ .

خامساً / أبو الفتح البعلي

(محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي الحنبلي المتوفى سنة ٧٠٩ هـ)[١] .

وهو أحد المتأثرين بحركة التوسع اللغوي ، ومن المؤثِّرين فيه أيضاً ، وقد انعكس هذا التأثير بدوره على تنمية وازدهار حركة الدرس اللغوي ، وقد تمثل ذلك في كتابه (زوائد ثلاثيات الأفعال)[٢] والذي صرَّح فيه بأنه استدراك على ما فات شيخه ابن مالك من زوائد ثلاثيات الأفعال ، المَقولُ فيها (أفْعَلَ أو أُفْعِلَ) قد أغفلها شيخُه ، ونَبَّهَ البعلي أنه جمع ذلك بتتبعه كتب اللغة ، لا على وجه الحصر ، وكان ترتيبه لها تبعاً لشيخه ابن مالك [٣] .

وبمطالعتي لتلك الزوائد والإضافات لفت نظري تأثر البعلي بجماعة من أئمة اللغة المتوسعين ، حيث جاءت أكثر زياداته بما نقله عن أبي عثمان السَّرَقُسطي ، ــ والذي سبق الحديث عنه .

فنقل عنه البعلي في مواضع متفرقة من كتابه (الأفعال) وقد صرح المؤلف بهذه الزيادات من كتاب الأفعال ، نذكر منها :

ــ يذكر البعلي أن : بَلَتَ الشَّيْءَ : قطعه ، ويُصرِّحُ بأنه أخذها عن أبي عثمان السَّرَقُسطي [٤] .

---

(١) انظر : ترجمته في بقية الوعاة ٢٠٧/١ ، ٢٠٨ ، وكشف الظنون ١٨١٠ ، والأعلام للزركلي ٢١٨/٧ .
(٢) حققه الأستاذ الدكتور سليمان العايد ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية .
(٣) انظر : ثلاثيات الأفعال ٩٥ .
(٤) نفسه : ٩٨ .

ــ يحكي عن أبي عثمان أيضاً أن : ثَبَنْتُ الشيء ، بمعنى حملته في ثبان بين يديك ، أي في وعاء [١] .

ــ ويذكر أنَّ جَهَدَهُ المرضُ ، إذا بلغ بــه المشــقَّة ، والفــرس استخرجتَ جُهْدَه ، ويُصرِّح بأن ذلك عن أبي عثمان [٢] .

ــ ويحكي أيضاً أن : جَزَى الشيء عنك : إذا قام مقامك ، وقــد يهمز عن أبي عثمان [٣].

ــ وينقل عن أبي عثمان أيضاً قولــه : ودَهَقْــتُ المــاء : إذا أفْرَغْتُهُ إفراغاً شديداً [٤] .

ــ كما يحكي عن أبي عثمان قوله : سَــنَوْتُ المــاء سَــنْواً ، وسِنَايَة ، وسِنَاوَةً ، إذا استخرجته من البئر [٥] .

ــ أيضاً ينقل عن أبي عثمان قوله : فَــرَعَ الشــيء فَراعَــةً ، بمعنى طال [٦].

ــ نقل عن ابن سيده قوله تَعَّ تَعَّاً ، بمعنى : قاء . ويُنَبِّه إلى أنهــا بالمعجمه (الغين) عن أبي عثمان[٧].

وما هذه إلا نماذج مختصرة ، وإلا فالكتاب تضمن الكثيــر مــن مثل هذه النقول عن أبي عثمان السَّرَقُسْطِي [٨] .

---

(١) نفسه : ١٠٠ .
(٢) ثلاثيات الأفعال : ١٠٢ .
(٣) نفسه : ١٠٣ .
(٤) نفسه : ١٠٩ .
(٥) نفسه : ١١٧ .
(٦) نفسه : ١٣٠ .
(٧) نفسه :١٠٠ .
(٨) انظر الصــفحات : ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٦ – ١٤٦ .

وكما تأثر أبو الفتح البعلي بتوسعه في زوائده بأبي عثمان السَّرقُسطي ، فإنه قد تأثر أيضاً بأبي جعفر اللبلي ، صاحب كتاب (تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح) فضمن البعلي زوائده نقولاً كثيرة عن صاحب التحفة ، نذكر منها :

ـ يذكر البعلي أن : أَثَرْتُ فلاناً عليك لغة في آثَرْتُهُ ، حاكياً إياها عن اللبلي في شرحه لكتاب الفصيح [١].

ـ وفي موضع آخر من كتابه يذكر البعلي أن اللبلي نقل عن مكي قوله ذَهَبْتُ بالرجُلِ [٢] .

ـ أيضاً ذكر البعلي أن اللبلي حكى في شرحه عن اليزيدي قولهم: شَمَلَهُمُ الأمرُ [٣].

وأُشير إلى أن هذه اللغة لا ذكر لها عند أصحاب التنقية [٤] .

ـ كما نقل المؤلف عن اللبلي قوله : وَصَفَدْتُهُ : أعطيته ، وينبه إلى أن الأخير قد حكاها عن غير واحد [٥].

ـ ونقل أيضاً عن اللبلي في شرحه للفصيح ، قوله : ظمىء الفَرَسُ : إذا ذبل وتضمر[٦] .

ـ وينبه المؤلف أيضاً أن : عقدت العسل لغة في أعْقَدْتُه ، ويُصرِّح بأن اللبلي حكاها في شرحه للفصيح عن غير واحد من أئمة اللغة [٧].

---

(١) ثلاثيات الأفعال : ٩٧ .
(٢) نفسه : ١١١ .
(٣) نفسه : ١١٩ ، وانظر الإصلاح ٢١١ ، وأدب الكاتب ٤٢١ ، وأفعال السَّرقُسطي ٣٤٥/٢ .
(٤) انظر : الإصلاح : ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، وفعلت وأفعل للزجاج : ٩٤ ، وتثقيف اللسان ٤٢٠ .
(٥) ثلاثيات الأفعال : ١٢١ .
(٦) نفسه : ١٢٥ .
(٧) نفسه : ١٢٦ .

وينقل المؤلف عن اللبلي أيضاً قوله : عَامَ إلى اللبَّنِ ، إذا اشتهاه ، ويُنَبِّه إلى أن الأخير حكاها في شرحه للفصيح عن ابن خالويه وابن طلحة [١].

وثمة نقول أخرى جاءت مبثوثة في ثنايا الكتاب [٢].

بقي أن أقول: إن تأثر أبي الفتح البعلي في مذهبه في التوسع لم يكن محصوراً على هذين العالمين (السَّرَقُسطي واللبلي) فحسب ، وإنما وجدناه في زوائده أيضاً ينقل عن لغويين آخرين فقد أكثر النقل عن ابن سيده في كتابيه (المحكم والمخصص) [٣] كما أكثر النقل أيضاً عن أبي القاسم بن القطاع في (أفعاله) [٤] .

وخلاصة القول : أن أبا الفتح خَرَج بهذه الحصيلة اللُّغوية ، والتي تتبعها في كتب اللغوين ، فكانت استداركاً على ما فات شيخه في كتابه (ثلاثيات الأفعال) وهذه الزوائد البعلية كانت حقلاً خصيباً ورافداً معيناً من روافد زيادة الثروة اللغوية وتنميتها ، وبالتالي أفاد منها الدرس اللغوي على مختلف مستوياته اللغوية .

---

(١) ثلاثيات الأفعال : ١٢٨ .
(٢) انظر الصفحات : ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ .
(٣) انظر الصفحات : ٩٧- ١١٠ ، ١١٣- ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٨ – ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٦ – ١٤٣ .
(٤) انظر الصفحات : ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٣٣ ، ١٤٥ .

سابعاً / شهاب الدين الخفاجي

أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري المتوفى سنة ١٠٦٩هـ[١].

وضع هذا العالم شرحاً على كتاب (دُرَّةُ الغواص)[٢] للحريري نبه من خلاله إلى الكثير من الألفاظ والاستعمالات التي أنكرها أو خطأها صاحب الدرة ، وعدَّها من الأوهام ، فأبان الشارح في تعقبه للحريري إلى أن الكثير مما خطأه المصنف فصيح صحيح لا خطأ فيه . وليس المقام هنا مقام إحصاء لكل ما منعه الحريري ، وأجازه الخفاجي ، وإنما سأكتفي بذكر إيجازٍ لأمثلة مختارة يتضح من خلالها المقصود ، فمن ذلك :

ـ أنكر الحريري على من قال للمريض : مسح الله ما بك ، بالسين ، ويرى أن الصواب أن يقال : مصح بالصاد ، فيرد عليه الشارح مبيناً أن ما أنكره الأول ليس بمنكر ، بل قال به غير واحد من اللغوين ، فينقل صواب ذلك عن ابن بري ، ويعزز ما ذهب إليه بما حكاه الهروي في (الغريبين) وموافقة ابن بري له فيما ذهب إليه ، كما حكى الصاغاني اللغتين جميعاً ، مع تصريحه بأن الصاد أعلى [٣].

ـ كما خطأ الحريري قولهم : المَشْوَرَة ، على بناء مَفْعَلَة ، إذ إن الصواب عنده أن يقال : مَشُورَة على زنة : مَثُوبة ومَعُونة ، ويُخطيء الشارح ما قرره المُصنِّفُ ، مُنبِّها إلى أنَّ ضم الشين في

(١) انظر ترجمته في : دائرة المعارف للبستاني ٤١١/٧ ، وبسلافة العصر ٤٢٠ – ٤٢٧ ، وانظر : تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ٢٨٧/٣ .
(٢) حققه عبدالحفيظ فرغلي القرني، متكبة التراث الإسلامي القاهرة.
(٣) شرح دُرَّة الغواص : ١٠٢ .

مَشُورة ومَثُوبة هو القياس ، إلا أنه قد حكى أهل اللغة فيهما الإسكان تنبيها على الأصل وإن شذ ، وإن العرب نطقت بها [١]. وجاء في العين ٢٨١/٦ " والمَشْوَرَةُ مَفْعَلَة أُشْتِقَّ من الإشارة . ويقال : مَشُوَرةٌ " واللغتان في اللسان والتاج [٢] .

ـ كما أنكر المُصنِّف أيضاً قولهم : فلان أَشَرُّ من فلان ، إذ يرى أن الصواب أن يقال بغير ألف . فيرد عليه الشارح بأنَّ ما أنكره ورد في الكلام الفصيح كثيراً ، وإن كان بغير الألف أكثر ، ويُصَرِّح الخفاجي إلى أنه ورد نثراً في أحاديث وقع بعضها في (صحيح البخاري) ويَعْضِدُ ما ذهب إليه بما نقله عن أحد اللغويين من أن ما أنكره الحريري صحيح فصيح [٣] .

ـ أيضاً أنكر الحريري على من قال : هو قرابتي ، والصواب عنده أن يقال : هو ذو قرابتي ، مستشهداً على ما ذهب إليه بيت من الشعر . بينما يُصرِّح الشارح أن ما أنكره المصنف صحيح فصيح ، وشائع نظماً ونثراً مستدلاً بأن ذلك جاء في كلام أفصح الخلق ﷺ ، وذكر الشاهد من الحديث ، وعَضَّد صحة ما ذهب إليه بما حكاه الزمخشري في (الأساس) : هو قريبي وقرابتي..."[٤] .

ـ وفي موضوع آخر من الكتاب يُلَحِّنُ الحريري من قال : هو سَدَادٌ من عَوْز ، بفتح السين ، إذ الصواب عنده كسرها ، فيرد عليه الشارح بما نقله عن بعض أئمة اللغة ، كابن السكيت في الإصلاح

---

(١) نفسه : ١٣١ .
(٢) اللسان ، والتاج (شور)
(٣) شرح درة الغواص : ١٨٧ .
(٤) نفسه : ٢٤٩ ، وانظر الأساس (قرب) .

والذي ذكر اللغتين مساوياً بينهما ، ومثله ابن قتيبة في أدب الكاتب ، والجوهري في الصحاح[١].

ــ ويَعُدُّ الحريري من الأوهام قولهم لمن أصابته الجنابة : قد جُنِبَ ، والصواب عنده أن يقال : أُجْنِبَ . فَيُنَبِّهُ الشارح أنه يقال باللغتين جميعاً ، مستدلا على ما ذهب إليه بما ذكره الزمخشري في كتابه (الفائق في غريب الحديث) وقد حكاه عن أبي حاتم السجستاني [٢].

ــ وفي موضع آخر من الكتاب ينكر الحريري على من قال : طُرَّ شَارِبُهُ ، بضم الطاء ، لمن نبت شَارِبُهُ ، فالصواب عنده أن يقال: طَرَّ، بفتح الطاء، بينما يرى الشارحُ أن ما أنكره الأول غيرُ مُنْكَرٌ، مستدلاً على ذلك بما حكاه الصاغاني في كتابه (العُبابُ الزاخر في اللغة) من أنه يقال: طُرَّ بالضم، في طَرَّ الشارب، لغة فيه أيضاً[٣].

ــ وفي موضع آخر أيضاً يرفض الحريري قول بعضهم : دابة لا تُرْدِف ، ووجه الصواب عنده أن يقال : لا ترادف ، أي : لا تقبل المرادفة ، ويرى الشارحُ أن هذا مما أساء فيه المُصَنِّفُ ؛ لأن ما أنكره أثبته غيره وسمع ، وينقل عن الزمخشري في (الأساس) ذكره للغتين جميعاً ، ومثله فعل صاحب القاموس ، وإن قلل الأخير من شأن اللغة الأولى (تُردِف) [٤] . قلت : ذكر اللغتين صاحب العين

(١) نفسه : ٤٠٧ ، وانظر : الإصلاح ١٠٤ ، وأدب الكاتب ٤٢٣ ، والصحاح (سدد) .
(٢) شرح درة الغواص : ٤٤٧ .
(٣) شرح درة الغواص : ٤٧١ .
(٤) نفسه : ٥٥٨ ، وانظر : الأساس ٢٢٨، والقاموس (ردف).

(٢٣/٨(ردف) ، كما حكى اللغتين أيضاً ابن هشام اللخمي في شرحه للفصيح ، ومثله فعل السَّرقُسطي في الأفعال [١] .

ــ وخطأ الحريري من قال : قد كَثُرَتْ عَيْلَةُ فلانٍ ، بمعنى : عياله ، ذاهباً في ذلك إلى أن العَيْلَة بمعنى الفقر ، مستشهداً على ذلك بآية من الذكر الحكيم ، والصواب عنده أن يقال : عِيَاله جمع (عَيِّل) فيتعقبه الخفاجي بقوله : " والمُخَطِّي هو المُخْطِيء " مصرحاً بأنه ورد في هذا المعنى في الكلام الفصيح ، فهو ــ في نظره ــ عربي صحيح ، مستشهداً على ما ذهب إليه بحديث رواه بن الأثير في (أسد الغابة) ، وبما حكاه الأزهري في (التهذيب) : " طالت عَيلتي إياك ، أي طالما عِلْتُك "[٢] .

ــ ونختم ــ هنا ــ بما عَدَّه الحريري من الأوهام ، وهو قولهم في جمع مِرْآة : مرايا ، حيث إنه يرى أن الصواب : مِرَاءٍ ، على وزن مراعٍ ، وينبه إلى أن مرايا جمع ناقة مَرِيَّ وهي التي تدر إذا مُرِيَ ضَرْعُها . فيتعقبه الشارح مصرحاً بأنَّ ما ذكره المصنف غير صحيح رواية ودرايةً مستشهداً بما حكاه ابنُ بري عن ثعلب في الفصيح من أنه يقال : هذه ثلاث مراءٍ فإذا كثرت فهي المرايا ، ويعضد ذلك بما حكاه جماعة من أئمة اللغة الثقات كابن السكيت وابن قتيبة وغيرهم[٣] .

(١) انظر شرح ابن هشام اللخمي ٢٨٨، وأفعال السرقسطي ١٥/٣ .
(٢) شرح درة الغواص : ٥٦٨ .
(٣) نفسه : ٥٩٥ .

سابعاً / الزَّبِيدي[1]

ومن الآثار التوسعية في الدرس اللغوي أيضاً ، ما تضمنته تلك المعاجم اللغوية من إثباتها لكثير من الألفاظ الصحيحة الفصيحة، التي منعها المتشددون والذين صرحوا بخطئها، أو رداءتها، أو حملها على لغة العامة ، كما هو الحال عند ابن سيده الأندلسي وتوسعه في معجمه وقد مرَّ بنا ذلك . وهذا السيد محمد مرتضى الزَّبِيدي في معجمه (تاج العروس)[2] أيضاً يُفَصِّحُ كثيراً من الألفاظ التي منعها آخرون ، حاكياً ذلك عن أئمة اللغات الثقات . ويُمثِّل مصنفه المذكور توسع العرب في كلامها ، نَتَخَيَّرُ منه ما نحسبه موضحاً للمقصود :

ـ ينقل الزبيدي عن أبي جعفر اللبلي في شرحه للفصيح أنه حكى: تثأَّبَ ، بتشديد الهمزة ، على تفعَّل نقلاً عن صاحب المُبَرِّز[3]، بينما اقتصر أصحاب التنقية على لغة العلو والفصاحة : تثاءب[4].

ـ وفي قولهم : رَدُؤَ فلانٌ : إذا صار رديئاً ، حكى الزبيدي فيه تثليث الدال عن ثعلب[5] .

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد بن عبدالرزاق الشهير بمرتضى الحسيني الحنفي الواسطي الزَّبيدي،نزيل مصر، ولد سنة١١٤٥هـ. تلقى العلم على أكثر من ثلاث مئة شيخ حسبما ذكر ، اشتغل بطلب العلم على علماء الهند ، دخل اليمن وأقام بزبيد مدة طويلة ، حتى قيل له الزَّبيدي ، واشتهر بذلك ، وأجازه مشائخ المذاهب الأربعة ، توفي سنة ١٢٠٥هـ . ترجمته في : كشف الظنون ٣٤٨/٦ ، تاريخ الجبرتي ١٩٦/٢ – ٢١٠ ، الأعلام للزركلي : ٧٠/٧ .

(٢) حققه علي شيري ، دار الفكر ، بيروت .

(٣) التاج (ثأب) .

(٤) انظر : الإصلاح ١٤٨ ، وتقويم اللسان ٨٥ ، وتصحيح ١٨٠ .

(٥) التاج (ردأ) .

ــ وفي قولهم : قَدَرْتُ على الشَّيء : إذا قويت عليه، يذكر الزبيدي إلى جانب اللغة الفصيحة المقدمة من أنه يقال : قَدِرْتُ ، بكسر الدال، ونَبَّه إلى أن ابن القطاع نسبها لبني مُرَّة من غطفان، وأنَّ الصَّاغاني قد نقلها عن ثعلب أيضاً[١] وهذه اللغة قد ذكرها ابن السكيت في الإصلاح[٢].

ــ وفي قولهم : وَجَدْتُ على الرجل مَوْجَدَةً ، إذا غَضِبْتُ عليه ،نجد أن الزبيدي ينقل عن القَزاز في الجامع وابن التياني في الموعب أنها حكى عن الفرَّاء قوله : " سمعت بعضهم يقول : قد وَجِدَ ، بكسر الجيم ، إذا غضب ، والأكثر فتحها[٣] .

ــ وفي قولهم : غَارَ الرَّجُلُ يَغُورُ غَوْراً : إذا أخذ نحو الغور ، يذكر الزبيدي ــ بالإضافة إلى اللغة الفصيحة المقدمة ــ لغة أخرى ، هي : أغار بالألف ، حاكياً ذلك عن الفرَّاء [٤] .

ــ وفي قولهم: زَرِدْتُ اللُّقْمَةَ أَزْرِدُها، حكى الزبيدي : ازْدَرَدَها، وتَزَرَّدَها، وزَرَدَها، وصرَّح بأنه نقل عن شراح الفصيح قولهم: ازْدَارَهَا، بمعنى:ازْدَرَدَ،ونبه إلى غرابتها[٥].ولم أجد في شروح الفصيح هذه اللغة إلا ما تفرَّد به أبوجعفر اللبلي بما نقله عن أبي عمر المطرِّز[٦] .

ــ وجاء في الفصيح : ولي في بني فلان بِغيَةٌ [٧] ، وأضاف الزبيدي إلى لغة الفصيح لغة أخرى ، هي بُغْيَةٌ بضم الباء [٨] .

---

(١) التاج (قدر) .
(٢) انظر الإصلاح ٢١٢ ، وأفعال ابن القطاع ٣/٤٠ .
(٣) التاج (وجد) .
(٤) التاج (غور) وانظر الإصلاح ٢٤٠ .
(٥) التاج (زرد) وانظر : تحفة المجد الصريح ١٤٦ .
(٦) انظر : تحفة المجد الصريح ١٤٧ .
(٧) ص : ٢٩٤ .
(٨) التاج (بغى) .

وكما توسع الزبيدي في الأفعال ، فقد توسع في الأسماء أيضاً نورد من ذلك ما يلي :

ذكر المُصنِّف أن (القُرَّ) بالضم ، البرد عامة ، وقد يخصص بالشتاء خاصة ، ونقل عن بعضهم أن ابن قتيبة حكى فيه تثليث القاف ، ونبه إلى أن الفتح حكاه اللّحياني في نوادره(١) .

ــ اقتصر أصحاب التنقية اللغوية على : (الكَوْسَجُ) (٢)، بفتح القاف ، فهذه اللغة العالية الفصيحة (٣)، بينما أضاف الزبيدي لغة أخرى ، هي : (كُوسَج) بضم الكاف ، حاكياً ذلك عن الفرَّاء ، وصرَّح بأن ابن هشام اللخمي زاد لغة ثالثة ، هي : كُوسُجٌ ، بضم السين أيضاً ، وقد نبه المصنف إلى غرابتها(٤).

ــ كما صرَّح المصنف أيضاً بأنَّ (الفِكرَ) بكسر الفاء وفتحها : أعمال النظر(٥) ، فهو يثبت هنا لغتين .

ــ ونقل الزبيدي عن أبي جعفر اللبلي ما حكاه الأخير عن أبي طلحة من أن : الكُلُّوب ، بضم الكاف ، لغة في (الكَلُّوب) (٦) ، فحكى ــ بالإضافة إلى لغة الفصيح ــ لغة أخرى .

---

(١) التاج (قرر) .
(٢) فارسيٌّ مُعرَّب ، وهو الرجل السِّناط ، أي صغير اللحية ، انظر : اللسان (كسج) .
(٣) انظر ما تحلن فيه العامة ١٢٢ ، والإصلاح : ١٦٢ ، وأدب الكاتب : ٣٩٣ ، وتثقيف اللسان : ١٢٩ ، وتصحيح التصحيف : ٤٤٦ .
(٤) التاج (كسج) .
(٥) التاج (فكر) .
(٦) التاج (كلب) .

ـ وحكى الزَّبيدي أيضاً أنَّ : الأبَّ بالتشديد لغة في الأب بالتخفيف[١] ، وأنَّ : الأخَّ والأَخَّة ، لغة في الأخ ، والأخت ، حاكياً ذلك عن ابن الكلبي[٢] .

ـ ولم يقتصر توسع الزبيدي على الأفعال والأسماء فحسب ، بل نجده يتوسع أيضاً بذكره لكثير من المصادر ، والصفات نلمح إلى شيء منها فيما نقله في معجمه التاج .

ـ يذكر المصنف أنَّ : الوَقُود ، يقال بلغتين : بضم الواو وفتحها ، ونبَّه إلى أنَّ الأخيرة عن سيبويه ، ويضيف : وهو مصدر وَقَدَتِ النارُ : إذا اشتعلت ، ويذكر أنَّ من مصادره أيضاً : قِدَةً ، ووُقُوداً ، ووُقْدَةً ، بضم الواو فيها ، ووَقَدَاناً ، ووَقِيداً ، وَوَقَداً [٣].

ـ وفي قولهم : سَحَّت الشاةُ والبقرةُ تَسِحُّ : إذا سمنت ، يذكر الزَّبيدي : سَحاً وسُحُوحاً ، وسُحُوحَةً ، وينبه إلى أن هذه المصادر الثلاث حكاها أبو حنيفة عن أبي زيد [٤] .

ـ وحكى الزبيدي أنه يقال : جاء أَخَرَةً وبأَخَرَةً ، مُحرَّكتين ، وقد يُضم أولهما ، وصرَّح بأنَّ لغة الضم عن اللحياني ، وأضاف : ويقال : لقِيتُهُ أَخيراً ، وجاء أُخُراً بضمتين ، وأَخِيراً ، وإِخرِياً بكسرتين ، وإِخْرِيّاً ، بكسر فسكون ، وآخِرِياً ، وبآخِرَةٍ بالمد فيها ، أي آخر كل شيء[٥].

كما توسع المصنف في ذكره لكثير من الصفات ، نحتار منها على سبيل الإيجاز :

---

(١) انظر : التاج (أبب) .
(٢) التاج (أخخ) .
(٣) التاج (وقد).
(٤) التاج (سحح) .
(٥) التاج (أخر) .

ـ ففي قولهم : استَعْذَيْتُ المكان ، وقد عَذِي : أي بَعُدَ ، يـذكر الزبيدي من هذه الصفات : عَذِيًّا ، وعِذْيَاً ، وعَذِياً ، وعَذاةً [١].

ـ وفي موضع آخر من المعجم وفي قولهم : صَبَرَ الرَّجُلُ يَصْـبِرُ ، يحكي المصـنف : صَابِراً وصَبَّاراً وصَبِيْراً وصَبُوراً ، وينبه أنه يقـال للأنثى صَبُور أيضاً بغير هاء [٢].

ومما سبق اتضح لنا بجلاء توسع الزَّبيدي في مصنفه المذكور وذلك عن طريق إثباته لكثير من الألفاظ التـي حجرهـا أو منعهـا آخرون ، بحجة عدم فصاحتها ، فبرهن على فصاحتها بإسنادها إلى أئمة اللغة الثقات ، وهو بعمله هذا قد أضاف إلى الـدرس اللغـوي ثروة لغوية فصيحة أخرى أكسبته تعبيرات جديدة ، ومفردات كثيرة ، ودلالات متنوعة .

(١) التاج (عذا) .
(٢) التاج (صبر) .

ثامناً

ومن آثار حركة التوسع على الدرس اللغوي ــ أيضاً ــ تقليل الفروق بين اللهجات العامية والعربية الفصحى ، وذلك بمحاولة تأصيل تلك اللهجات وردها إلى الفصحى ، لتقويم الانحرافات التي لحقتها على مرَّ الزمن ، فتقابلنا العديد من الكلمات ، والتي نظن لأول وهلة أنها دخيلة على لغتنا أو أنها من لغات العامة الخاطئة ، أو أنها مما يَلْحَنُ به البعض ، فمثلاً : نسمع كلمة (أيْـوَه) والتي تكون بمعنى : نعم ، معتقدين أنها عامية أو دخيلة ، بينما هي في الواقع عبارة عن كلمة (أي) بفتح الهمزة أو كسرها ، وهي عربية أصيلة معناها : نعم ، ألصقت بها واو القسم ، ثم سُكِتَ عن المقسم به اختصاراً ، وكان أصلها : أي والله ، ثم سكت عن لفظ الجلالة[1].

وذكر شهاب الدين الخفاجي في (شفاء الغليل) أن الزمخشري قال في كشافه : " سمعتهم في التصديق يقولون : (أَيْوَّ) فيفصلونه بواو القسم ، ولا ينطقون به وحده ، ثم قال الخفاجي : " والناس تزيد عليه (هاء السكت) فليس غلطاً كما يتوهم "[2].

وكلمة أخرى يظن الكثيرون أنها من التراكم اللغوي الغريب في اللهجات العامية ، وهي الفعل (خَشَّ) بمعنى : دخل ، فاللفظ فصيح لا غبار عليه ، يقال : خَشَّ في الشيء أي : دخل فيه ، وخَشَّ الرَّجُلُ في القوم ، وانْخَشَّ فيهم ، أي : دخل بينهم ، كما جاء ذلك في اللسان[3] ومنه الحديث : خشوا بين كلامكم لا إله إلا الله ، أى أدخلوا.

(١) انظر : من كلام العرب ، حسن ظاظا ص ٦٠ .
(٢) شفاء الغليل : ١٨ .
(٣) انظر : من كلام العرب ٦١ ، واللسان (خشش) .

ومما يعتقد البعض أنها من رواسب اللهجات العاميـــة أيضـــاً ، بينما هي فصيحة صحيحة الاستعمال ، الكلمات التالية :

ــ دعس : يستعمل العامة الدَّعس بمعنى : الـــوطْء ، بشـــدة ، وهو استعمال فصيح ، ففي اللسان[١] الدَّعْسُ : شدة الوطْء .

ــ رَعَبَهُ : تقول العامة : رَعَبَني فلانٌ ، أي خَوَّفَني وأفْزَعني ، يقال : رَعَبَهُ ، وأَرْعَبَهُ ، إذا خوَّفَهُ ، كما في المصباح والقاموس[٢].

ــ زاط : يقول بعض العامة : زَاطَ الناسُ : إذا صاحوا واختلطت أصواتُهم ، وعلا ضجيجهم . وهذا استعمال صحيح ، جاء في اللسان : زَاطَ الناسُ زياطاً ، اختلطت أصواتهم[٣].

ــ زَفَّتَ الطريق : يقول العامة : زَفَّتَتْ البلديـــةُ الطريـــق ، إذا فرشتها بالزِّفت ، جاء في اللغة : زَفَّتَ فلانٌ الشيء : طـــلاه بالزِّفـــت ، فقول العامة صحيح[٤] .

ــ الشَّطُّ : يستعمله العامة بمعنى الشاطئ ، ويجمعونـــه علـــى شُطوط . وهذا استعمال صحيح فصيح ، ففي اللغة : الشَّطُّ : شـــاطئ النهر وجانبه ، وجمعه شُطُوط ، كما في (اللسان) [٥].

ــ تَصَالَح القومُ : يقول العامة : تصالح فلانٌ وفلان : إذا نبـــذا العداوة وتصافيا. وفي اللغة تصالح القوم أقاموا صلحاً بينهم ، كمـــا جاء في (القاموس) [٦].

---

(١) اللسان (دعس)
(٢) المصباح ، والقاموس (رعب) .
(٣) اللسان (زيط) ولا زال هذا الاســـتعمال شـــائعاً عنـــد إخواننـــا المصريين .
(٤) انظر : اللسان والقاموس (زفت) .
(٥) (شطط) .
(٦) (صلح) وانظر أساس البلاغة (صلح) .

ــ تَفَل : يقول العامة : تَفَلَ فلانٌ في وجه فلان: إذا بَصَقَ في وجهه. وفي اللغــة : تفل فلانٌ في عينيه : قذف عليه التِّفال ، وهو البصــاقُ كما جاء في (أساس البلاغة) [١] . فقول العامة صحيح فصيح .

ــ شَرَّعَ الباب: تقول العامة : شرَّع فلانٌ بابه ، بمعنى : فتحه. وفي القاموس[٢] : أشرع فلانٌ بابه إلى الطريق ، وشــرَّعه فتحــه ، فالعامة على الصواب .

ــ سلَّفَهُ : يقول القائل من العامة : سلَّفْتُ فلاناً مبلغاً من المــال إذا أقرضته إياه ، وهو قول فصيح صحيح ، جاء فــي (اللســان): (سلف) سلَّفَه المال : أقرضه ، وفــي (القــاموس) [٣] : السَّــلَفُ : القَرضُ . وكل عمل صالح قدمته .

ــ الكُلْوَةُ : جاء في المصباح أنَّ : الكُلْوَةَ لغة لأهل الــيمن فــي الكُلْيَة . والعامة يستعملونها بهذا المعنى ، إلا أنهم يكسرون الكاف ، والصواب ضمها[٤] .

ــ يَخِسُّ: يستعمله العامة بمعنى: يَخِفُّ ويَــنْقُصُ. وهــو قــول فصيح أيضاً، جاء في اللغة: خسَّ الشيء يَخِسُّ بمعنى: خفَّ وزنُه[٥].

وبعد : فإن هناك الكثير من مئات الألفــاظ ، والتــي تضــمنتها المعاجم اللغوية ، وغيرها من كتب اللغة ، ووسمتها بالفصاحة ، مما يغني الباحث عن الإسهاب في ذلك ، فاكتفيت بما تقدم ذكره ، ومــن أراد الاستزادة فليراجع ذلك في مظانه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

---

(١) انظر: تثقيف اللسان ٤٨، وتقويم اللسان ٨٧، والأساس (تفل).
(٢) انظر : القاموس والأساس (شرع) .
(٣) (سلف) وانظر: الأساس (سلف).
(٤) المصباح (كلا) .
(٥) انظر المصباح (خس) .

فهرس المصادر والمراجع

- أدب الكاتب، لابن قتيبة ـ تحقيق محمد الدالي، ومؤسسة، بيروت، ١٤١٧هـ.
- إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، لعبد الباقي بن عبدالمجيد اليماني، تحقيق عبد المجيد دياب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠٦.
- إصلاح المنطق، لابن السكيت، شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف الطبعة الرابعة.
- الأعلام، للزر كلي ، دار العلم للملايين بيروت الطبعة السابعة ١٤٠٦هـ.
- الأفعال، لابن القطاع، عالم الكتب بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
- الأفعال، للسراقسطي، تحقيق حسين محمد شرف ، مراجعة محمد مهدي علام، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية القاهرة ١٤١٣هـ.
- الإقتضاب في شرح أدب الكتاب، لابن السيد البطليوسي، تحقيق مصطفي السقا ، وحامد عبد الحميد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٤١٦هـ.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي، تحقيق حمد أبوالفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧١هـ.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت ١٤١٩هـ.
- البلغة في أصول اللغة، لمحمد صديق خان القنوجي، تحقيق نذير محمد مكتبي، دار البشائر الإسلامية الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

- تاج العروس لجواهر القاموس ، للزبيدي، تحقيق على شيري، دار الفكر بيروت ١٤١٤هـ.
- تاريخ آداب العربية، لجرجي زيدان، مراجعة شوقي ضيف ، دار الهلال.
- تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، لابن مكي الصقلي، تحقيق عبدالعزيز مطر، القاهرة ١٤١٥هـ.
- تصحيح الفصيح ، لابن درستويه، تحقيق محمد بدوي المختون، مراجعة رمضان عبد التواب ، القاهرة ١٤١٩هـ.
- ثلاثيات الأفعال المقول فيها فعل أو أفعل بمعني واحد وزوائده ، لأبي عبد الله ابن محمد بن مالك، ولأبىالفتح محمد البعلي، تحقيق سليمان العايد، دار الطباعة والنشر الإسلامية القاهرة ١٤١٠هـ.
- الخصائص لابن جني ، تحقيق محمد على النجار ، الجزءان الأول والثاني دار الكتاب العربي بيروت، والجزء الثالث الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.
- شرح درة الغواص للخفاجي، تحقيق عبد الحفيظ فرغلى على، دار الجيل بيروت الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- شرح الفصيح، للزمخشري، تحقيق إبراهيم عبد الله الغامدي، جامعة أم القرى بمكة المكرمة الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) اعتني به مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.
- العربية، ليوهان فيك، ترجمة وتقديم وتعليق رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي ١٤٠٠هـ.

- العين للخليل بن أحمد، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامراي، دار مكتبة الهلال بيروت.
- الغريب المصنف، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق محمد المختار العبيدي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
- الفصيح لأبي العباس ثعلب، تحقيق عاطف مذكور، دار المعارف القاهرة.
- فعلت وأفعلت، للزجاج ، تحقيق رمضان عبد التواب ورفيقه، مكتبة الثقافة الدينية ١٤١٥هـ.
- الفهرست لابن النديم، تحقيق رضا، دار المسيرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.
- القاموس المحيط، للفيروز أبادي، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، دار الفكر بيروت.
- لحن العامة والتطور اللغوي، لرمضان عبد التواب، دار المعرف القاهرة الطبيعة الأولي ١٩٦٧م.
- لسان العرب، لابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- المثلث لابن السيد البطليوسي، تحقيق صلاح الفرطوسي، دار الرشد بغداد ١٤٠١هـ.